الناصر



www.kotobarabia.com

عزيز أباظة

النّاصر

عزيز أباظَة

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

فهرس

مقدمة

بقلم الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

عضو مجمع اللغة العربية

كان للعرب في مدى قرنين هجريين، من سنة ٧٨٦ إلى سنة ٩٩٦، في كل قارة من القارات الثلاث، عصر ذهبي بلغوا فيه من انبساط الرقعة، واتساع العمارة، وازدهار الحضارة، وانتشار الثقافة، ما لم يبلغه اليونان في عصرهم على عهد بركليس، ولا الرومان في عصرهم على عهد أغسطس، ولا الفرنسيون في عصرهم على عهد لويس الرابع عشر؛ ففي آسيا كان عصر الرشيد وابنه المأمون، وفي أفريقية كان عصر المعز وابنه العزيز، وفي أوربا كان عصر الناصر وابنه الحكم، خضعت فيها لسلطانهم رقاب الملوك، واستجرت لقيادتهم أجناس الناس، وخفقت فيها لسلطانهم رقاب الملوك، واستجرت لقيادتهم أجناس الناس، وخفقت أعلامهم السود في بغداد، والبيض في القاهرة، والخضر في قرطبة، بالقوة والسطوة والثروة والجلالة وشعت منائرهم الشم فوق الجوامع والجامعات بالدين والعلم والفن والأدب، وأقبل عليهم الحائر يلتمس الهدى، والجاهل يطلب المعرفة، والضعيف يبتغي النصرة، والمظلوم يسأل الإنصاف، فما كان ينصرف عنهم القاصد من هؤلاء إلا موصول الأمل مكفي الحاجة.

ولعل عصر الأندلس في عهد أمير المؤمنين عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله ثامن خلفاء بني أمية كان بما ذلّل من العِقاب التي قامت في سبيله، ودرأ من السيول التي تدفقت على جوانبه، أقوى بطبيعته وحيويته من عصري العراق ومصر. فقد كان الناصر يحمل مشعل النهضة والعواصف الهوج تهب عليه من كل مكان، غادته الفتن والخطوب من الداخل، وراوحته الدسائس والحروب من الخارج؛ فأتمر به العصاة، وشغب عليه الثوار، وطمع فيه ملوك الأطراف من المسلمين،

وتألب عليه أمراء استوريا ونافارة من المسيحيين، ونصب له الفاطميون الحبائل فصارحهم بالحرب، وبث له العباسيون الغوائل فكاشحهم بالعداوة. والخلافة في الغرب كانت غيرها في الشرق؛ لأن المسلمين كانوا بين أمم النصرانية أشبه بالجسم الغريب في الجسد الحي، لا يزال مثار الألم ومظنة الهلاك حتى تتضافر قواه الباطنية كلها على طرده. ولن يستطيع الطارئ المحتل أن يستقر في موضعه ويطمئن على نفسه إلا بدوام الحذر وطول السهر وإعداد القوة وضبط الأمور ومراقبة الثغور ومواجهة العدو. فلو أن الناصر كان قد قصر جهده وجنده على أن يتماسك في مكانه، ويدفع الأخطار عن سلطانه، لما خالف منطق الأشياء ولا جافى طبيعة الوجود.

ولكن الناصر مع كل أولئك عني بالثقافة والحضارة، واهتم بالصناعة والزراعة والتجارة، حتى لو أنه كان قد وقف على هذه الأعمال الخمسين سنة التي قضاها على عرش الخلافة، وأنفق عليها جميع الأموال التي جباها من خراج المملكة. لما عد ذلك طويلاً على هذا الأمر، ولا كثيرا على هذه النفقة! أنشأ المدرسة الطبية في قرطبة وهي أول مدرسة للطب في أوربا؛ وأسس دار الكتب في غرناطة على ستمائة ألف مجلد؛ وهي أضخم مكتبة كانت يومئذ على وجه الأرض، وخطط مدينة الزهراء على سفح جبل العروس وحشد لها عشرة آلاف من أساطين الريازة في الشرق والغرب؛ وشيد من فوق طبقاتها الثلاث المتراكبة (دار الروضة) وهي قصر من قصور الدنيا المعدودة كان يقوم على ٤٣٠٠ عمود، ويدخل إليه من ١٥٠٠ باب. وقد بلغت مساحته ٢٧٠٠ ذراع في ١٥٠٠، وجاوزت نفقته سبعة ملايين دينار، وقد شيدت قاعته الكبرى بالذهب والإبريز والمرمر المجزع، وتدلت في وسطها الجوهرة الفريدة التي أهداها إلى الناصر (ليو) صاحب القسطنطينية، وكان لهذه القاعة ثمانية أبواب قامت على قواعد من الرخام الملون والبلور المزخرف، عليها أرتجة مقوسة من الآبنوس المرصع بالذهب والعاج المطعم بالجوهر، وكان

في بهرة الجناح الذي ينام فيه الخليفة بركة من الماء على حفافيها اثنا عشر تمثالاً من الذهب على صور الحيوان [1].

في بهو هذا القصر كان الناصر يستقبل وفود أوربا من ملوك وأمراء وسفراء، يقلبون يديه، ويهدون إليه، ويصدرون عنه بالرضا أو بالفضل أو بالمعونة.

وعلى قياس هذا القصر في الضخامة والعظمة تستطيع أن تحكم على منشآت الناصر في الحرب والسلم، وعبقرياته في الحكم والعلم، ومعجزاته في السياسة والإدارة، ثم ترجع إلى نفسك فتسألها: كيف انقض هذا البناء الشامخ بهذه السهولة، وانمحى هذا المجد الباذخ بهذه السرعة؟ ألم يكن في هذه القوة الغلابة وهذه القدرة المسيطرة، وفي هذه العقلية النيرة والبصيرة المدبرة، ما يدفع عنه عوامل الفساد وغوائل العدم، في زمن كان الحكم فيه للإسلام، والأمر للعرب، والقيادة للشرق، وفي حال كانت فيها أوربا تخبط في دياجير الجهالة وترسف في أغلال الأمية؟!

إن الجواب الذي تسمعه عن أسباب هذا الانهيار السريع في الأندلس هو الجواب الذي تسمعه عن هذه الأسباب في العراق، ومؤداه أن العدول في اختيار الخليفة عن طريق البيعة إلى طريق ولاية العهد أوقع التحاسد بين الإخوة، وقطع التواصل بين الأقارب، فحيكت الدسائس وفشا الغلول واستنصر العدو؛ وإن العصبية التي مني بها العرب فرقت الدين ومزقت المسلمين وأذاقت بعضهم بأس بعض، فكثر الانتقاض وفجرت الخيانة وانكشفت الثغرة؛ وأن المماليك الصقالبة الذين جلبهم الناصر في شرقي أوربا، كانوا والمماليك الأتراك الذين جلبهم المعتصم من غربي آسية، وسائل تفريق ومعاول هدم، شتتوا وحدة الأمة، وقوضوا ركن الدولة.

تلك هي الخطوط البارزة المميزة في صورة العصر الذهبي أيام الناصر وهي لا تكاد تختلف عن الخطوط البارزة المميزة الأخرى في صورتي عصر الرشيد وعصر المعز: تقدم سريع يبلغ أبعد الغايات ويشمل أقصى الجوانب، قد مهدت له

(١) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان.

عبقرية الجنس ومزية الدين وعدالة الخلافة ووحدة الهوى؛ ثم تأخر مفـاجئ يشـل العقول ويغل الأيدي، قد عجل به انشقاق العصا وافتراق الطريق وتمكين الـدخيل وممالأة العدو.

فالكاتب المسرحي الذي يريد أن يستغل لفنه عصرا من هذه العصـور الثلاثـة لا معدى له عن أحد طريقين: إما أن يصوره صاعدا إلـى الأوج فيبـين عوامـل الرقي، ويظهر مناقب السلف؛ ليحرك الألسنة بالفخر والزهو، ويحفز النفوس إلـى السعي والمجد، ويهدي النشء إلى طريق النجاح والفوز؛ وإما أن يصـوره هابطـًا إلى الحضيض، فيمثل أسباب الهبوط، ويبرز أخطاء القادة؛ ليفتح العيون على خطر الواغل، وينبه الأذهان إلى ضرر الخلاف، ويستخرج العبرة من شر المطامع.

وهذا الطريق هو الذي اختاره شاعرنا المسرحي العظيم - عزيز أباظة - فـي روايته (الناصر) التي أقدمها بهذه الكلمة: فقد رأى أن العرب ما زالـوا يمضـغون الفخر بالمجد الذاهب والسلطان المضاع، حتى عاد الفخر تمطقًا من غيـر مـذاق، وتجشؤًا من غير شبع: ولم يحاولوا الانتفاع بالحوادث والاتعاظ بالعبر؛ حتى تجددت مأساة الأندلس في فلسطين، وأخرج العرب من ديارهم هذه اليوم، كما أخرجوا من ديارهم تلك بالأمس، والأسباب في المأساتين متحدة، والنتائج في الجلاءين متفقـة؛ فكان من توفيق الله ومراعاة مقتضى الحال أن يعالج عزيز أباظة عصر الناصـر من جهة الأدواء المخامرة التي كانت تكمن فيه، لا من جهة العافية المنيعـة التـي كانت تظهر عليه.

على أن الشاعر لم يغفل جانب المجد العربي في الأندلس وما بلغه من سـلطان نافذ ورقي شامل، فقد وصفه أجمل وصف وأبلغه في الفصل الأول من الرواية وهو فصل العرض، على ألسنة الوافدين على الناصر مـن رسـل الملـوك؛ فرسـول القسطنطينية يقدم إليه هدية مولاه، وهي كتاب نادر في علم النبات دق على علمائهم فهمه؛ ثم يشكو إلى الناصر نقض بغداد لعهد أبرم بين الدولتين في ضمان القـرآن والإنجيل، ويسأله المواثقة على الأمان، فيقول الحكم محتدا:

بغداد لم تخن العهود

الرسول: فمن إذن؟

الحكم: أجهلت من قد سامها طغيانا؟

يا صاح إن ملوكها قد أصبحوا لا حكم في يدهم ولا سلطانا
غلبت عليهم عصبة تترية لم تبق للصيد الملوك كيانا

ثم يضمن الناصر الحماية للروم في كل بلد نزلوه، وفي كل فعل فعلوه.

ورسول ملك الصقالبة يرفع إليه تحية ملكه وولاءه، ثم يسأل الخليفة أن يمدهم بقائد من قواد جيشه المظفر ينظم جيشهم ويعلمه، فيبعث إليهم بابن جهور.

ورسول ملك الألمان يطلب طبيبا عربيا ليعالج أخت الملك من داء أعضل أطباء قسطنطينية وروما، فيقول الناصر لابنه الحكم:

يا بني استمع له يصف العلة واندب من طبيب هذا الداء
أيما علة فعندي بحمد الله من ربها من العلماء

ورسول ملك نوارة أو نافار يعلن التوبة ويسأل العفو، فيمنح الخليفة قومه المغفرة، ويرفع عنه الجزية. فيقدم إليه مع الشكر هدية ملكه، وهي جاريتان إحداهما كما يقول نافارية، والأخرى فارسية، فيتقبلهما الناصر وهما: "منى" و"تغريد". ثم يسأل الرسول بعد ذلك أن يأمر الخليفة بنقل العلوم العربية إلى لغتهم، فيجيبه:

العلم إن ينقل لكم لم يجدكم ما لم يجيئوا الصرح من أبوابه
هبوا ادفعوا أمية عصفت بكم ثم اطلبوه بعد حق طلابه

وقد أنطق الشاعر الوفود بوصف ما رأوا من مظاهر المجد وروائع الحضارة، فكان ذلك أبلغ مما لو أنطق به شاعرا من شعراء البلاط أو خطيبا من خطباء المجالس.

أما الفصل الثاني من الرواية فيسير فيه العمل ويدور الحوار على مؤامرتين تدبران في وقت واحد بعد أن هيأ الشاعر لهما الأذهان في أواخر الفصل الأول:

إحداهما مؤامرة داخلية يدبرها عبد الله (ابن الناصر)، ووصيف، والمنذر، والوليد، فعبد الله موغر الصدر على أبيه، لجعله ولاية العهد للحكم أخيه. ووصيف مضطغن على الخليفة لظلمه إياه بالخِصاء والرق، والمنذر ثائر على الحكم لغرض في نفسه؛ والوليد يربض الأمور للمعز لدين الله الفاطمي فيحرض عبد الله على قتـل أخيـه الحكم، ويعده باسم المعز أن يكون له الأمر من بعده.

والمؤامرة الأخرى خارجية، تدبرها "منى" و"تغريد" و"شفق" وهـن مـن بنـات الملوك من نافار، دخلت الأوليان قصر الخلافة هدية، ودخلته "شفق" منذ طفولتهـا سبية، فرباها الناصر وأغرم بها الحكم. وسبب هذه المؤامرة واضح وهو التـراث بين نافار وقرطبة، والمساجلات بين الإسلام والنصرانية.

ثم ينتهي الفصل الثاني بافتضاح سر المؤامرة الداخلية، وقتل عبـد الله، والعفـو عن شركائه الآخرين. وتستمر المؤامرة الخارجية في الفصل الثالث حتـى تنحـل عقدتها في الفصل الرابع بمصرع "شفق" وفرار "منى" وشن الحرب على المعز.

لا تحسبني أردت تخليص الحوادث وتحليل المواقف، فإن الرواية كلهـا أمامـك تحسو من رحيقها المصفى ما تشاء، وإنما أردت الإشارة إلى توزيع العمـل علـى الفصول الأربعة لتعلم الغرض الذي ترمي إليه الرواية، والفكرة التي أدارها عليهـا المؤلف.

* * *

أما نظم الرواية فنمط من الشعر الرفيع البديع المحكم، أرسله الشاعر فيضا مـن قريحته على هدى من سليقته، فجاء صافي الديباجة، واضح المنهج، لا تجـد فيـه تكلفًا ولا قلقًا ولا غموضا ولا حشوا ولا ضرورة. ولا تنس أن الكـلام هنـا عـن الشعر التمثيلي، وهو محك الشاعر، يكشف عن معدنه ويشف عن ملكاته.

ووجه المشقة فيه أن الشاعر التمثيلي لا يعبر عن نفسه ولا ينقل عن شعوره كما يفعل الشاعر الغنائي، وإنما يعبر عن أشخاص مختلفين في الطبع والحس واللهجـة والفكرة والغرض والطبقة، فهو في المقطوعة الواحدة أو في البيت الواحد يـتقمص

هذه الشخصيات جميعا على التعاقب، فيسأل ويجيب، ويحاور ويداور، ويلين ويشتد، ويصل ويقطع، ويبرم وينقض، والسياق مطرد والوزن متبع والقافية ملتزمة. فـإذا أجاد الشاعر المسرحي التعبير عن كل شخص، وطابق مقتضى الحـال فـي كـل موقف، ولون الحوادث والعواطف باللون المناسب في كل مشهد، فقـد بلـغ مـن عبقرية الشعر المكان الذي لا يسمو إليه شاعر القصيدة ولا شاعر الملحمة.

والأستاذ عزيز أباظة قد وفق في كل أولئك توفيقًا أحله محل الزعيم لهذا الفـن بعد شوقي غير منازع. وسيسجل تاريخ الأدب العربي المعاصر أن شوقي وعزيـز أباظة هما اللذان أكملا النقص الموروث في الشعر العربي بما أدخلا فيه من الشعر التمثيلي الذي ظل طوال عصوره الخمسة غريبا عنه لا يعرفه ولا يألفه.

وفي الرواية مقطوعات من عيون الشعر توافر لها من حسن الصياغة وجمـال المعنى وعمق الشعور ما لا غاية بعده. نذكر منها على سبيل المثال تحريض منـى لشفق على الغدر في المشهد الخامس، ومناجاة الحكم لشفق في المشـهد السـادس، ومحاورة الأخوين الحكم وعبد الله في المشهد السابع، (وكل هذه المشاهد في الفصل الثاني)؛ ثم مراودة شفق للحكم عن سر الغزو في المشهد الخـامس فـي الفصـل الثالث.

ولولا أنك تقرأ هذه الكلمة في يديك الرواية لنقلت إليـك مـن ذلـك المعجـب المطرب. فأيقظ فؤادك وأرهف حسك يا سيدي واقرأ، ثم اجز الشاعر الذي متعـك هذا المتاع، وسرك هذا السرور، بالدعاء لله أن يمد في عمره وأن يديم على الشعر العربي عظيم فضله وجميل بره.

أحمد حسن الزيات

أشخاص الرواية

الرجال:

عبد الرحمن الناصر	:	خليفة الأندلس
الحكم	:	ابن الخليفة وولي عهده
عبد الله	:	ابن الخليفة وثائر عليه
منذر	:	حاجب القصر وولاؤه للفاطميين
وصيف	:	خصي رئيس الخدم
ابن جهور	:	من قواد الناصر
ابن يعلى	:	
رسول ملك القسطنطينية		
رسول ملك الصقالبة		
رسول ملك الألمان		
رسول ملك نافار		
رسول روما		
أمير زنانه		
القس دي جرسي		
الوليد أخو الزهراء		
صاعد	:	من خدم القصر
منجد	:	

وزراء وعلماء وشعراء وأمراء الجند والبحر ووفود الدول.

النساء:

الزهراء	:	زوج الخليفة
شفق	:	ابنة رذمير ملك نافار. وقعت صغيرة فـي أسر الخليفة فتبناها
منى	:	من أميرات المملكة نافار.
تغريد	:	تابعة منى
فوز	:	خادمتان بالقصر
وفاء	:	

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر البديع بقرطبة سنة ٣٣٨ هجرية

منجد، وصاعد، وفوز، ووفاء، ينسقون قاعـة العـرش.
القاعة مترامية الأطراف. منقوشة أجمل نقش ومفروشـة
أفخم فرش، وفي صدرها عرش كبير.
والقاعة مطلة على حدائق وأبهاء.

صاعد : قَــري وتيهــي أرض أنــدلس
فاليوم لألاء [1] الضـحى سـمح
الــيمن معقــود بِغرتـِـهِ
والنصر.. نصـر الله، والفـتْح

منجد : لم يشهدِ الإسلام مذْ عَمـر الـ
ـدنيا فبــدلَ ليلهــا صـبحا
مجــدا كهــذَا المجــدِ روعتُــه
في الدهر لا تُنْسى ولا تُمحـى!

صاعد : مـن منْبــئُ الـدنيا بأجمعِهــا
أنــا ملكناهــا ودِناهــا؟
الناصــر المــأمولُ ســيدها
قــد ضـم أقصــاها لأدناهــا

فوز : ثم اسـتوى مـن فوقهـا ملكًـا
أضفى عليهـا العـدلَ والجاهـا

---

(١) الألاء: الضوء الباهر.

كانــت ومــا زالــتْ مشــيئتُه
فُرقــانهــا..
أســتغفِر اللهَ

صاعد : هــذي ملــوك الأرضِ راجفــةً
(في اعتزاز مضحك) ترجو الأمــان لديــه والصــفْحا
ســاقوا لــه الســفراء فالتَمســوا
صــلحا، فقــد نــوليهم صــلْحا
(ضحك)

وفاء : أرأيتهم؟

صاعد: : أبصرتُهم برزوا
صــفْر الوجــوه، أذلــةً كُلحــا
يبــدون مــا يبــدون مــن جلَــدٍ
وقلــوبهم، وكبــودهم جرحــى

فوز : مــن هــؤلاءِ؟ ومــا مــواكبهم
(وهي تنظر إلى الخارج) هــذي؟ وفــيم تــراهم جــاءوا؟
لبســوا مــن الــديباج أشــرقَه
وتوشعوا بالحلْي مــا شــاءوا...
أمســيطِرون علــى عروشِــهم؟!

صاعد : بــل إنهــم يــا فــوز أشــلاء
أرداهــم جهــلٌ وأهلكهــم
خُلْــف تغشــاهم وأهــواء

منجد : هذا الــذي تــرأين مــن ألــقٍ

زلفَــى إلــى مــولاكِ بلقــاء

هــذا بريــقُ الشــمس آفلــةً

في المـاءِ حيـا موتهـا المـاء

وفاء : يا خـدم القصـر كفـاكم فلسـفَه

مــا قلــتم إلا الهــراء والســفَه

منجد : وفاء كفي واصمتي

وفاء : بل اكفُفُوا!

ودونَكـ ـم أرائـ ـك فصـ ـففُوا

وبسـ ـطٌ فنسـ ـقوا ونَظفـ ـوا

صاعد (في كبر) : أهنتِ أهلَ الفضـل منـا والكـرم

وفاء : ويح أبِي... أساسـةٌ مـن الخَـدم!

منجد (لوفاء) : مــا هــذه الثرثــرةُ الســخيفه؟

صاعد : أتَحقِـ ـرين خـ ـدم الخَليفَـ ـه؟!

(في تعاظم) إنــا إذا ســار وســرنَا حولَــه

سـ ـعى إلينـ ـا وزراء الدولَـ ـه

منجد : فـ ذاك يـ ومِي بالسـلامِ خاضـعا

وذا يقولُ: أْامـ ر تجـ دني طائعـا

صاعد : إن رضـانا مـن رضـا مولانـا!

وفاء : لـ ـم أزدر الحكـ ـام إلا الآنـ ـا

تجللـ ـوا الذلـ ـةَ والهوانـ ـا

فالتَمسـ ـوا بالخَـ ـدمِ السـ ـلطانا

(يتضاحكون جميعا)

(يدخل وصيف)

المشهد الثاني

منجد : مـــاذا وراءك يـــا وصـــيفُ؟

وصيف : ورائـــي النصـــر المـــؤزر

الله أكبـــر... تنطـــقُ الدنـــــ

ـــــيا بهـــا... الله أكبـــر

جمـــع الخليفـــةُ فـــي يديـــ

ـــه الـــدين، والـــدنيا وقـــدر

دان الملـــــوك الكابريـــــ

ن فمـــا تكبـــر أو تَجبـــر

ومشَـــى لـــه السـفراء يـــز

دلفـــون للملـــكِ المظفـــر

مشْـــي الســـقيمِ إذا تخـــا

ذلَ والصــــبي إذا تعثــــر

أيـــن الرشـــيد يضـــيء فـــى

بغـــداده يحيـــى وجعفَـــر

بـــل أيـــن مـــن بهـــتَ الزمـــا

ن علاهمـــا كســـرى وقيصـــر

قـــد قصـــروا عـــن مجـــده

ومـــن انبـــرى للشـــمس قصـــر

(ثم ينتحي ناحية ويقول، في حقد، وكأنما ينقلب إلى شخصية أخرى)

مجـــد بنـــاه علـــى الهـــوى

والبغِـــي جبـــارا عنيـــدا

أمصـــرفَ الأيـــامِ إن لهـــا إذا وصـــلت
ومقرن [1] الأحرار بالأغلال خفْ عبدا حقودا
من ساد بالقهر العباد فلن يقـر ولـن يسـودا
(مستطردا للخدم في شخصيته الأولى)
أفَرغتُم؟

فوز : كِدنـا

افرغـوا

وصيف : الآن نَنتظـــــر الوفـــــودا

أمـــر الخليفـــةُ أن يكـــو
ن الحفـــلُ مؤتلقًـــا فريـــدا
ضخمـا ليقـــذِفَ فـــي القلـــو
بِ الرعـــب والخـــوفَ الشـــديدا

(في حماسة) إن الفرنجـــةَ

وفاء (في سخرية) : قـــد أطلـــ

ـــتَ القـــولَ فاختْصـــر القصـــيدا
خـل الفِرنجـةَ مـا لنَـا ولهـم

وصيف (في تحد) : أرى حقـدا عنيـدا ...!

يا بنتَ أسرى الحربِ تَحتَ بنودِنا لبسوا القيودا
لم تألفي بعد السبيلَ الحق، والـدين الجديـدا

وفاء : خل التنادر بالحديثِ لكل فحـل عصـلبي [2]

(١) وضعهم في القرن أي جعلهم مقترنين أي مقيدين.
(٢) العصلبي: القوي الشديد من الرجال.

(في تحد أشد) وانظـ ـــر لنفسِـ ــك تُلْفِهـ ــا

خجلَــى مــن العبــدِ الخَصِــي

لا أنتَ للعطر المرقرقِ [1] لا ولا للمشرفي [2]

(ضحك وتغامز. يبدو على وصيف حقد مكبوت)

فوز (لهما) : لا تبرحـ ــان هكـ ــذا مختصـ ـ ــمين أبـ ـ ــدا

إن كلمتْـ ــك رعتَهـ ــا وإن نطقـ ـ ــتِ اتقـ ـ ــدا

أقسـ ــمتُ قـ ــد جانبتُمـ ــا فيمـ ــا نـ ــراه الرشَـ ــدا

وصيف : عجيـ ــب أمـ ــر هـ ــذا النـ ــاسِ

منجد : بـ ــل مـ ــا حفنـ ــا أعجـ ــب

وصيف : ومـ ــا ذاك الـ ــذي تَعنيـ ــهِ؟

منجد (في غمزة) : أعنِـ ــي الـ ــذئب والثعلـ ــب

(السامعون يتداعون للحذر بعلامات مختلفة)

إذا الليـ ــثُ غفَـ ــا هبـ ــا فنـ ــالا أبعـ ــد المـ ــأرب

فهذي روضةُ القصريـ ـن سلْها فهـ ــي لا تكـ ــذب

وصيف (في جد) : **أتعنـ ــي ابنـ ــي أمـ ــين اللهِ؟**

منجد : **لا تعـ ـ ـ ــبس ولا تغْضـ ـ ـ ــب**

وصيف : وما شـ ــأنُك يـ ــا وقْـ ــح بما يحـ ــدثُ فـ ــي القَصـ ــر؟

أحامي حرمـ ــةِ الأخـ ــلا قِ في البر وفـ ــي البحـ ــر!

فهل أنتَ أبـ ــو حفْـ ــص وهـ ــل أنـ ــتَ أبـ ــو بكـ ــر؟

(ضحك)

---

(١) رقرق الطيب في الثوب: أجراه فيه.

(٢) المشرفي: السيف.

صاعد	:	ولكن	
وصيف	:	كُف عـن هجـر	ك
			إن الهجر مـا يجـري
صاعد	:	أترضى أن يعِج [1] القَصـ ـ	ـ ـ ـر بالقصـ ـف وبـ ـالخَمر
		وأن يطفـ ـح بالعتْـ ـب	وبالوصـ ـل، وبـ ـالهجر
منجد	:	وأن تُطـ ـوى لياليـ ـهِ	علـى كـل هـوى سـهل
		وأن تَفهـقَ [2] بالشـعر	وبالشـ ـوق، وبالرسـ ـل
وصيف	:	لحـاك الله يـا أسخـ ـ	ـفَ من يمشي على رجـل
		إذا لـم يعمـر القصـر	هـ ـوى يلهبـ ـه نـ ـارا..
		وإن لم تَسـكر الخمـر	فتجـ ـري فيـ ـه أنهـ ـارا
		فـلا عـز ولا طـالَ	ولا كـ ـان ولا صـ ـارا
		(ضحك من الخادمتين)	
صاعد	:	وصيفٌ مـا نطقـتَ الآ	ن إلا الخـ ـزي والعـ ـارا
		أقصر الملـكِ والسـلطا	ن يمسِـ ـي للهـ ـوى دارا؟
وصيف (في دعابة)	:	ألا قبحـ ـ ـ ـ ـ ـك الله	أنتلـ ـو فيـ ـه مزمـ ـورا؟
		أنـروي فيـه أذكـارا	أنُلقـ ـي فيـ ـه تفسـ ـيرا؟
وفاء (مداعبة)	:	وصيفُ، السحر تزجيـهِ	حـ ـديثًا يأسِـ ـر اللبـ ـا
		أجبني واصطنع صـبرا	ولا تُغلِـ ـظْ لـ ـي العتْبـ ـا
		لقد تَعرفُ مـا الخمـر	وقـ ـد تنهلُهـ ـا عبـ ـا
		ولكن كيفَ يا مسكيـ ـ	ـن تدري الشوقَ والحبـا!
		فما أعجـب أن يمسـي	خَصـ ـي مغرمـ ـا صـ ـبا!

---

(١) يعج: يمتلئ.

(٢) تفهق: تمتلئ.

وصيف (في صوت حالم) : تجنيـ ـتِ.. فمـ ـا الحـ ـب صـ ـراع بـ ـين وحشَـ ـين
فإن الحـ ـب مـ ـذْ كـ ـان مِـ ـزاج بـ ـين نَفْسـ ـين
وصفو بـ ـين روحـ ـين وسـ ـر بـ ـين عينَـ ـين
ولحـ ـن الله يزويـ ـهِ صـ ـلاةً نـ ـبض قلْبـ ـين

وفاء (في خبث) : أجل روحـ ـان مؤتلفـ ـا ن نامـ ـتْ عنهمـ ـا الغِيـ ـر
ولكـ ـن منهمـ ـا أنثـ ـى تحـ ـن، ومنهمـ ـا ذَكَـ ـر
(تضاحك)

فوز (في احتراس شديد) : أرى حب ولي العهـ ـ ـ ـدِ لا ينكـ ـره منْكِـ ـر
ولكن حب عبـ ـدِ اللـ ـ ـه أقصى غايـ ـةِ المنْكَـ ـر

وفاء : صهٍ يا فـ ـوز أو تـ ـردى

وصيف : أرى اليـ ـوم بهـ ـا مسـ ـا
فللزهـ ـراءِ يـ ـا حمقـ ـا ء أذن تسـ ـمع الهمسـ ـا
وعـ ـين تلمـ ـح الغيـ ـب ووعـ ـي يقـ ـرأ الحدسـ ـا

وفاء : إذا ما أُغْضِبتْ يـ ـا فـ ـو ز لـ ـم تـ ـرحم ولـ ـم تَنْسـ ـا

وصيف : (يستطرد بشخصية الحاقد في ناحية)
أيها العاهل الـ ـذي أخضـ ـع الأ
يـ ـام سـ ـلطانُه فكُـ ـن إمـ ـاءه
والذى اسـ ـتعبد الملـ ـوك فخـ ـالُوا
رقعـ ـةَ الكـ ـون أرضـ ـه وسـ ـماءه
واسترق الأحرار مـ ـن أمـ ـمِ الأر
ضِ فمـ ـا ينْشـ ـدون إلا رضـ ـاءه
لا تنم آمنًا فرب ضـ ـعيفِ الـ ـ

ـ ـ ـكيدِ آذى بضـ ـعفِه أعـ ـداءه

(في حقد أشد) كيفَ تنجو من مضمر لك بغْضـ ـا

كـ ـان أوهـ ـى سـ ـلاحهِ بغْضـ ـاءه

لذةُ المرءِ في الفحولـ ـة والحـ ـ

رب وفـ ـي منـ ـزل يصـ ـم نِسـ ـاءه

(في تهديد قاس) سمتني العسفَ مذْ ولدتُ فصـ ـبرا

ينقـ ـع العـ ـاجز الخصـ ـي ظَمـ ـاءه

صاعد : (في خشوع وهو ينظر للخارج)

منجد : مولاتُنا الزهـ ـرا، وهـ ـذه شَـ ـفَق

أقبلتـ ـ ـا؟

فوز : تبـ ـارك الـ ـذي خَلَـ ـقْ!

(يعودون إلى تنسيق الإيوان في اضطراب)

وصيف : (في اضطراب مضحك. ويعطي نفسه صفة الآمر في الخدم ويشمر عن ذراعيه)

أقبلتَـ ـ ـا؟ إذن فعـ ـ ـودوا للعمـ ـ ـلْ

لا أقبـ ـلُ التقصـ ـير مـ ـنكم والكسـ ـلْ

(لفوز) مـ ـاذا دهـ ـاك؟ نَسـ ـقي ونَضـ ـدي

(لمنجد) وأنـ ـتَ لا تصـ ـعد

(لوفاء) وأنتِ فاصـ ـعدي

(ثم يقول في عظمة مضحكة) إنـ ـ ـي أرى مظـ ـ ـاهر التمـ ـ ـردِ

أنسـ ـاكمو لهـ ـوى وعِـ ـد محتـ ـدي

إنـ ـي إن أغضـ ـب فسـ ـوطي فـ ـي يـ ـدي

(ضحك خافت)

(تدخل الزهراء ومعها شفق)

المشهد الثالث

الزهراء : أتُـراكُم فعلـتم مـا أمـرتم؟

وصيف : فـانظري ربـةَ السـنا والجـلال
قاعةُ العرشِ قد أعدت كما شئـ ـتِ على غير سـابقٍ مـن مثـال

الزهراء : كيف أعددتم المقاعد حول العرش؟

وصيف : صـفت كالخُطـةِ المألوفـه

الزهراء : بلْ فجِـي منـذرا ومـره يقـدم
سادة الرومِ وهو يزجـي صـفوفه
عن يسارِ الخليفةِ ابنـاه، فالإفْـ ـرنج، والروم عن يمين الخليفـه
ثم باقي الوفودِ، فالجيشُ، فالحـ ـجاب، ثـم المراتـب المعروفـه

وصيف : أمـر مـولاتِي الكريمـةِ
(يخرج)

الزهراء : يـا صـاعد

صاعد : لبيـكِ

الزهراء : هـل تـراءى الوفـود

شفق (وهي تنظر للخارج) : ما أراهم إلا دنـوا فـولي الـ ـعهدِ قـد لاح ركبـه المسـعود
وإلـى جانـبِ الأميـر أخـوه

موكـــب مونـــقُ الـــرواءِ فريـــد

الزهراء (في خبث) : لم تري في الجموع غير ولي العهدِ؟!

شفق (في خجل وتحد) : بـــل قـــد رأيـــتُ عبـــد الله

(ينظر الخدم بعضهم لبعض في تغامز)

أنا أختٌ لهم وإن كنـت نصـرا
نيـــةَ الجـــد والســـنا والجـــاهِ

ضمني الناصـر العظـيم إليـهِ
فتقلبـــتُ فـــي زهـــا [1] نعمائِـــه

شهد الله كنتِ يا شـفقُ الحسـ
ـــناء أدنَـــى إليـــه مـــن أبنائِـــه

ولبستُ النعـيم مؤتلـقَ الألـ
ـوان لما اقتربـتُ مـن زهرائِـه

وهدانِي لدينـهِ الحـق رب الـ
ـعرشِ عزت أسماؤه فـي سـمائِه

إن للناصــر العظــيم ولائــي
وعــدائي وقـــفٌ علـــى أعدائِـــه

مـــن ذلـــك المســـرع فـــي مشـــيتِهِ؟
ذلـــــك عبـــــد الله فـــــي حلتـــــهِ
وذا ولـــي العهـــدِ فـــي شِـــكتِه [2]

(يدخل الحكم وعبد الله)

---

(١) الزها: النضارة والحسن.

(٢) الشكة: السلاح.

المشهد الرابع

الحكم وعبد الله : حييتُمـا

سـ ـ ـلِمتُما

وعِشْـ ـتُما وسـ ـ دتُما

ونلتُمـ ـ ـا مُناكمـ ـ ـا بـ ـين يـ ـدي أبيكُمـ ـا..

الزهراء : ماذا وراء الفارسين؟

الحكم : وراءنـ ـا

يـ ـوم كأعيـ ـادِ السـ ـماءِ جليـ ـلُ

متـ ـألقُ القسـ ـماتِ، أمـ ـا فجـ ـره

فنـ ـد [1]، وأمـ ـا صـ ـبحه فَجميـ ـلُ

دانت ملوك الأرضِ للملكِ الـ ـذي

تختـ ـالُ أنـ ـدلس بـ ـه وتَطُـ ـولُ

ألقـ ـوا بطـ ـاعتهم لـ ـه وولائِهـ ـمِ

والله ينصـ ـ ـر حزبـ ـه وينيـ ـلُ

عبد الله (في سذاجة الناسك) : سألوه والتمسـ ـوا إليـ ـه وسـ ـائلاً

والله جـ ـل جلالُـ ـه المسـ ـئولُ

تالله لو سلكوا سـ ـبيلَ الحـ ـق مـ ـا

وهنـ ـوا، ولكـ ـن سـ ـالكوه قليـ ـلُ

إن يضعفِ الإيمان في قلب امرئٍ

---

(١) نَدٍ: رطب.

أو أمـــةٍ فـــإلى الفنـــاءِ تَحـــولُ

شفق (ضاحكة) : مـا زالَ عبـد الله بـين تنسـكٍ

لا ينجلـــي عنـــه وبـــين تَبتـــل

عبد الله(ضاحكًا ويشير إلى الحكم : لا تُنكري خُلقـي علـي فربمـا

هذِي الفَتَى وأخـوه جِـد مضـلل

الزهراء (مداعبة : يرد الحياةَ هوى وينهلُهـا هـوى

الحكم : ويفوز في الأخرى بـأكرمِ منْـزل

(ثم يتجه لشفق في مداعبة)

كبراء قومكِ من معـاقِلهم أتَـوا

شفق (في عتب) : بـل أنـتُم قـومي وأنـتم معقِْلـي

الحكم : أدري ولكني مـن أجلـكِ بـاذل

ودي وخالصــتِي لهــم وتَفَضــلي

شفق (فى دلال) : هــل ذاك مــن أجلــي أنــا؟!

الزهراء : بــل تلــك أحكــام السياســه

عبد الله : قُلت السياسةُ! أهـي زور الـ ـ

ـ ـ ـقول يمـ ـزج بالكياسـ ـه

زهـ ـراء عـ ـز الكـ ـاذبون

الخـ ـادعون فقيـ ـلَ ساسـ ـه

(يدخل وصيف)

وصيف : أجيبي أميـر المـؤمنين كريمـةً

الزهراء : أإياي تَعني؟

شفق : أنـــتِ لا شَـــك مـــن يعنِـــي

هنـاء أميـر المـؤمنين وأنْسـه

وبهجتُه يخطُرن فـي قـدكِ اللـدن

(وتربت خصرها)

عبد الله : وعين أميـر المـؤمنين وأُذْنُـه

الحكم : صدقتَ ومن أوفَى من العين والأذْن؟

الزهراء : فديتُ الملوك الصيد من آل سـيدي

بنفسي.. فهم جاهي العريض، وهم حِصني

فلستُ، وإن أضفَوا علي رضـاءهم،

سوى أمةٍ، تُغْنِي الإماء.. ولا تُغْنـي

سأمضِـــي إلـــى مـــولاي

عبد الله : إنـــي شـــاخص

لـــه فـــي جليـــل الأمـــر

الزهراء : إن شـــئتَ فاصـــحبني

الحكم : وأي جليـــــــل الأمـــــــر ذاك

شفق (فى خبث) لعلهـــا

مـــآذن يعليهـــــا؟

عبد الله : أســاخرةٌ مِنـــي

سأسأله واليـوم مجلـى سـموقه [1]

ليذكر من ينشي الملوك ومن يفْنِـي

فلم يبن هذا الملك ذا الطـول جنُـده

ولكنهـا جنـد الإلــهِ التـي تبنِـي

---

(١) السموق: العلو والرفعة.

(يخرج عبد الله والزهراء والخدم)

(ثم تحاول شفق الخروج فيستوقفها الحكم فتقف)

الحكم : إلـــى أيـــن ذاهبـــةٌ؟

شفق : ربمـــــا

رجعـــتُ

الحكم : بـل ابقـي هنـا

شفق : خَلِنـي

الحكم : ظلمتِ هـواي فعذبتِـهِ وأغْضيتِ عنـي فعـذبتِني

وأسـلمتني للأسـى والسـقامِ

وفـي ثَـبج [1] اليـأس خَلفْتِنـي

أبيـــتُ علـــى أرقٍ والِــه

وأُضـحِي علـى ألَـمٍ مـثْخِنِ

شفق : رجعـتَ أخـي للحـديثِ القـديم

الحكم : ظلمـتِ أخـاكِ ولـم تُحسِـنِي

وكـم قلـتُ يـا قلـب عـد للأنـاةِ

كفَـى مـا لقيـتَ فلـم يـذْعِنِ

عِـديني فـإن المنَـى الكاذبـاتِ

- فـديتُكِ – أكـرم مـا أقْتِنـي

عِـــديني يهـــدأ بأحنْائِـــهِ

جـريح علـى دائِـهِ ينْحنِـي

يجـــيشُ [1] إليـــكِ بآمالِـــهِ

---

(١) الثبج من الشيء وسطه.

فيثنَـــى فيقُســـم لا ينثنِـــي

(تحاول شفق السير في خجل وتردد)

أقيمي

شفق : لـك الله أخشَـى الفضـولَ
وأخشَـى عليـك اجتـراء المـلا

وقـولَ الحقـودين ضـل الأميـر

الحكم : وهل ضل في حكمهـم مـن صـبا
أُحِبـكِ!

شفق : إن غـــرام الملـــوكِ
وشـيك الـزوال قصـير المـدى

يـــرون الوفَـــا لَعِبـــا، والنســـاء
دمـــى، والهـــوى متَعـــا تُشْـــتَرى

الحكم : ظلمـــتِ الملـــوكِ ولـــم تُنْصِـــفى
فـــإن الملـــوك ملـــوك الهـــوى

وأنـــتِ. ألســـتِ ابنـــةَ العـــاهلين؟

شفق (حسرة) : لقـــد كـــان ذلـــك فيمـــا مضـــى
مضـــتْ دولـــةٌ وأتـــتْ دولـــةٌ

دواليـــك، والفجـــر يتلـــو الـــدجى

الحكم : محضـــتُكِ حبـــا قـــوي العـــرى
فجدتِ بعطـــفٍ ضـــعيفِ العـــرى

ألا فابـــذلي مـــن رضـــاكِ الجميـــل

---

(١) جاش: اضطرب.

فقـــد ذابــتِ الـــنفس إلا ذَمـــا [1]

شفق : (تنظر إلى الباب وهي تضطرب)

أرى حاجـــب القصــــر فـــأذَن

الحكم : فُـــديتِ

بنفســـي وأهلـــي، وقـــل الفِـــدا

(تخرج شفق، ويدخل منذر)

---

(١) ذما: أي الذماء، وهي بقية الحياة.

المشهد الخامس

الحكم : أمنذر

منذر : مولاي

الحكم : مـــن أيـــن جئـــتَ؟

ومــــاذا وراءك يـــــا منـــــذر؟

منذر : ورائـــي مـــولاي تَســـنَي العـــلا

عليـــــه، وينْســـكب المفْخَـــــر

وتَغشَـــي مهابتُـــه العـــاهلين

فـــإن طلبـــوا شَـــأوه قصـــروا

الحكم : متـــى يـــأذن اليـــوم للوافـــدِين؟

منذر : لقـــد أذِن العاهـــلُ الأكبـــر

وإنـــي لمـــدخِلُهم – إن رأيـــتَ -

فمجلســـــــهم

الحكم : قم بمـــا تُومـــر

سأمضِـــي لأصـــحبه قادمـــا

منذر : كُرمـــتَ فـــذاك مـــا يـــؤثِر

(يخرج الحكم)

(منذر ينظر إلى الحكم وهو خارج في حقد)

لا! لا أراك الإلـــه يـــا حكـــم

يومـــا تَلـــي أمرنَـــا وتحـــتكم

تُـــرد فيـــه إليـــك صـــاغرةً

مقـ ـادر المسـ ـلمين والحـ ـرم
حـ ـاربتَني ظالمـ ـا ومعتسـ ـفًا
والله حـ ـرب علـى الألى ظلمـ ـوا
لا ذنـ ـب لـ ـي، غيـ ـر أنني رجـ ـلٌ
لـ ـم تُنْمنـ ـي ديلـ ـم ولا عجـ ـم
يا ضيـ ـعةَ العـ ـرب فـ ـي حكـ ـومتِكم
لـ ـو كنـ ـتُ مـ ـولًى لسـ ـدتُ عنـ ـدكُم
لـ ـو قـ ـدر الله أن تفـ ـوز بهـ ـا
يومـ ـا إذَن لازدرتْ بنـ ـا الأمـ ـم
وصـ ـيفُ...

(يدخل وصيف)

وصيف : أمـ ـر الحاجـ ـبِ بـ ـن الحاجـ ـبِ
وطَيـ ـب الخـ ـلال والمناقـ ـبِ

منذر : سـ ـلِمتَ.. فـ ـاخرج للمـ ـلا يـ ـا صـ ـاحبي
فـ ـادع ذوي الأقـ ـدار والمراتـ ـبِ
والنـ ـابهين مـ ـن ذوي المناصـ ـبِ
وأْذن لكـ ـل شـ ـاعرٍ وكاتـ ـبِ

وصيف (في سخرية) : يـ ـا سـ ـيدي. مـ ـا اليـ ـوم يـ ـوم الشـ ـعر
اليـ ـوم لـ ـو تعلـ ـم يـ ـوم النصـ ـر
مـ ـا تبتغِـ ـي مـ ـن شـ ـعراءِ العصـ ـر
وهـ ـم كمـ ـا يـ ـدري الـ ـورى وتـ ـدري
قـ ـد ملئـ ـوا القصـ ـر وسـ ـاح القصـ ـر

لغْــوا هزيــلَ الجــرس، غــث البحــر!

منذر : صـ ـ ـ ـ ـ ـ ـهٍ وإلا فضـ ـ ـ ـ ـ ـ ـحوك...

وصيف : باطِـ ـ ـلُ

أكـ ـ ـل مـ ـ ـن قـ ـالَ فعـ ـولُن فاعِـ ـ ـل
عـ ـ ـد أديـ ـ ـب الـ ـ ـدهر وهـ ـ ـو باقِـ ـ ـلُ

منذر : قـ ـ ـم أدخِـ ـ ـل النـ ـاس وكُـ ـ ـف اللغـ ـ ـوا
قـ ـ ـد أزفَ الوقـ ـ ـتُ فحـ ـ ـث الخَطْـ ـ ـوا

وصيف : (في خطورة متقمصا شخصية الحقود)

آن لعبـ ـ ـ ـدِ الله أن يهبـ ـ ـ ـا
هــذا المعــز الفــاطمي لَبــى
وهيــأ الــرأي لنَــا والعضــبا
إن لم نَثِـب لمـا نريـد وثْبـا
منذر هنــا، وكُنــا للهــلاكِ نَهبــا
لا تُقلَــب الــدولاتُ إلا غَصــبا

(ثم يبتعد فيقف عند باب المسرح)

المشهد السادس

وصيف العـ
لمـــاء

منــــذر هِــــن هنـــا
(مشيرا)

(يدخل العلماء)

وصيف والوزراء

منذر لِصدْقَـ
هـم

وصيف وأمراء
الجنـدِ

منذر : احـــــــ ـــــلِلْهم هنَــا محلهــم

وصيف وأمــراء
البحــر

منذر أد خِلْهـم وكـرم قـدرهم

وصيف والكُبراء والولاَ ةُ

منذر فارعهـم
، ودلهـــــــــــــــم!

وصيف (في حركة ضيق ضاحكة)
والشعراء

!!

منذر أهلاً وسهلاً.. قلْ

قـ ـلْ لهـ ـم لَهـ ـ ـ ـ ـ ـ ـم

(يدخلون جميعا ويجلسون في مقاعدهم وتبقى المقاعد المحيطة بالعرش خالية)

(يخرج منذر ويدخل منجد)

وصيف أين الوفـ ـود؟

(لمنجد)

منجد في باحةِ البهـ ـو

تجمعـ ـ ـ ـوا الكبيـ ـ ـ ـ ـ ـ ـر

خَلفْـ ـ ـتُهم يتَنَظـ ـ ـ ـرو ن الإذن في قلَـ ـق مريـ ـر

يتفزعون كأنمـ ـا اطـ ـ ـلعوا على يـ ـوم عسـ ـير

وتغُوص من رهبٍ المثو ل قلوبهم بـ ـين الصـ ـدور

(تسمع ضجة وقعقعة سلاح)

(يدخل الجند في أجمل الملابس. ويدخل في زمرتهم جند من التتـ ـر والبربر، فيقفون في أماكنهم المخصصة)

(ويدخل منذر)

م نذ ر قَدِم الخ لِيفةُ

بعض الحضور من العـ عـ ـ ـز واسـ ـ ـ ـ تعالـ ـى علـ ـى كـ ـر العصـ ـ ـ ـ ـ ـ ـور

لما
ء

(يدخل الخليفة ووراءه ولداه الحكم وعبد الله، فيقف الجميع إجلالا. وحين يصل الخليفة إلى عرشه يجلس عليه ويشير لمنذر أن يـأذن للناس بالجلوس)

منذر : أذِن الخليفـ ـ ـ ـــةُ فاجلسـ ـ ـ ـــوا

بعض الحضور مـن أمراء الجند : لا زالَ منْصـ ـ ـ ـــور اللـ ـ ـ ـــواءِ

آخرون من رجال البحر : متعصـ ـ ـ ـــبا [1] بالمجـ ـ ـ ـــدِ،

آخرون : مـو فـور الرفاعـةِ والهنَـاءِ

(يجلسون)

الناصر : نُهـ ـ ـــدي السـ ـ ـــلام لكـ ـ ـــم

بعضهم (من غير العلماء) بقيـ ـتَ الدهر تصطنع الملوكا

آخرون : وبقيـتَ ناصـر دولـةٍ طـولى، دعائمهـا بنوكـا

آخرون : نأوي إلى الحكَم الكريـ ـ ـم فنرتجيـهِ ويرتَجيكـا

آخرون : مـا كـان إلا عِصـمةً للمُـكِ والـدين الحنيـفِ

جمع الهدى والعقـلَ وا لإقـدام للخُلُـق العفيـفِ

(تأمين حماسي من الحاضرين من غير العلماء، ورضاء واضح من الناصر، وتبرم مكظوم من عبد الله)

الناصر : هذا الذي تُلْقُـون يمـ ـلَؤنا اعتـزازا واعتزامـا

فلنْطوِ هـذا الشـأن إن لكُـم ولـي فيـهِ كلامـا

منذر : مـولاي يـأذن للوفـو دِ؟

الناصر : أجـل فـأدخلهم كِرامـا

يا قوم إن مثَـلَ الوفـو د الآن فـالقَوهم قِيامـا

---

(١) متعصبا: مكلوءا.

ألْقَـوا إلينـا عـن يـدٍ سـلما؛ فـردوه سـلاما

لا نرهب السيفَ الصقيـل، ولا نُحقره كهامـا [1]

(تدخل الوفود فيقف المجتمعون.. فإذا اقتربوا قليلا وقـف الحكـم وعبد الله، فإذا بلغوا الناصر وقف لاستقبالهم.. ثـم يشـير لهـم بالجلوس حوله)

الناصر : أهـلا بأضـيافي الكـرامِ ومرحبـا

بوفـود إخْـواني الملـوكِ الصـيدِ

الحكم : أعلام قرطبةٍ، ووادي نهرها الضـاحي، وموثـقُ أفقِهـا المنضـود

تُزجـي تحيتهـا لكـم وودادهـا

في وارفٍ مـن عطفِهـا الممـدودِ

(رسول القسطنطينية يقف ويتقدم خطوة)

رسول القسطنطينية : مـن ملْـك قسـطنطين جئـتُ

الناصر : نزلتَ فـي

دار السـلام معـززا ومكرمـا

مولاك نعـرفُ فضـله

الرسول : مـولاي.. مـن

تُضفي عليه رضاك لانجم انْتَمـى

مـولاي حملنـي إليـك تحيـةً

ولو استطاع سـعى إليـك فسـلما

ويراك – والدنيا تظاهِر [2] رأيـه -

(١) الكهام: الكليل.

(٢) تظاهر: تؤيد.

بــين الملــوك الســابقَ المتقــدما

قال: ادن منه إذا بلغتَ وقبـل التـ ـ

ـ ـاج الأغــر فَهبــتُ أن أتقــدما

قـال اجتنـب وزر الركـوع فَدِينـه

حسم الهوان عـن العبـادِ وحطمـا

فـإذا لِقيـتَ عظـيمهم ووضـيعهم

في القصر لم تَـدرِ المسـود منهمـا

هــذي هديتُــه إليــك يســوقُها

ويــرى احتفــاءك بالهديــة مغنَمـا

(يتقدم من الناصر فيقدم له رقًا جميلا فيه كتاب فيفتحـه الناصـر ويقلب فيه راضيا)

الناصر : هــذا كتــاب فــي النبــاتِ

الرسول : لَعلــــه

قَد ضـم أشـتاتَ النبـاتِ فأحكَمـا

شُــغلتْ بــه علماؤُنــا وثقاتُنــا

دهــرا فــدق علــيهم واســتبهما

علمـاؤك الأعـلام حـرر فكـرهم

الحكم : الفكْــر إن حــررتَ نزعتــه ســما

جعلــوا الحقــائقَ همهــم فتحللــوا

فــي بحثهــا ممــا أحِـل وحرمـا

(عبد الله ومنذر وابن عبد البر وبعض العلماء ينظر بعضهم لبعض استهجانا)

الحكم (مستطردا) : آداب ديــن جلــل الــدنيا ســنًا

وهدى إلى المثـل الرفيـع وقومـا

الرسول : مـولاي!

الناصر : قـلْ

الرسول : لا زال ملكك فارعا

ثَبتًا، ودمـتَ علـى الخليفـةِ قَيمـا

بغـداد بـين ملوكِهـا وملُوكِنَـا

حِلْـفٌ جهـدنا أن يـدوم ويسـلما

حِلفٌ على حسن الجوار نمـا، وفـي

كَـنفِ التـآزر والـوداد تـدعما

أركـان هـذا الحلـفِ..

الناصر : نعرفُ كُنهها

فلقد ربـت واسـتوثقت [1] أركانـا

عهد يصون الـنفس والأمـوالَ والأ

عـراض والأقـدار والأديانـا

هـدي سـما بالمسـلمين فقـدروا

قـيم الحيـاةِ، وكرمـوا الإنسـانا

الرسول : مـولاي فـأذن لـي أؤَدِ رسـالتي

وإن استطلْتُ علـى الملـوك لسـانا

قل مـا بـدا لـك إن ضـيفي آمـن

الناصر : مـا لـم يـدس بقولـه بهتانـا

---

(١) استوثقت: قويت.

الرسول : مـولاي بغـداد العظيمـةُ جللـتْ
عـارا، وسـيمتْ ذِلـةً وهوانـا
(يعتدل الناصر على سريره)
نَقضتْ عرى العهـدِ الوثيـق وإنـه
قـد ضـمن الإنجيـلَ والقرآنـا
ومضـتْ تُـذيقُ الآمنـين بأرضِـها
منـا المكـاره والأذَى ألْوانـا
لـو أنهـا حـرب لَـذُقنا بأسـها
أسـدا، وخُضـنا نَقْعهـا شُـجعانا
لكنـه كيـد الضـعيفِ.. وإن فـي
خُلُـق الضـعيفِ الكيـد والعـدوانا
الحكم (فى حدة) : بغـداد لـم تَخُـن العهـودا!
الرسول : فمن إذن؟
الحكم : أجهلْـتَ مـن قـد سـامها طُغيانـا
يا صاحِ إن ملوكهـا قـد أصـبحوا
لا حكـم فـي يـدهِم ولا سـلطانا
غلبــتْ علــيهم عصــبةٌ تتريــةٌ
لـم تُبـق للصـيدِ الملـوكِ كِيانـا
الناصر : وإذا تخاذلــت الملــوك تمــردتْ
خُلُصــاؤهم وتواثَبــوا ذُؤْبانــا [(١)]
(ثم يستطرد للرسول في اعتداد)

---

(١) ذؤبانا: ذئبا، وتطلق على اللصوص أيضا.

أرســولَ قســطنطين إن طالعتَــه
فاحمــلْ إليــه تحيتــي وســلامي
واذكُــر لــه أنــي ضــمِنتُ لشــعبه
ما شاء من خفْضٍ [1]، وطيب مقـام
ما ارتـاد مـن بلـدٍ فَـثَم حمـايتي
أو حـل فـي قـومٍ فـثم حسـامي

(ثم يلتفت للحكم) : اكْتُب إلـى الآفـاق أن الـروم فـي
كنفـي، وبــين حفـاوتي وذمـامي
إن ضــيعتْ بغــداد عهــدهم فقــد
حملَتــه قرطبــةٌ علــى الأيــامِ

(يتقدم الرسول فيقبل يديه، فيشير إليه الناصر كمن يـأمر بتقـديم احترامه للحكم فيفعل، ثم يعود الرسول فيجلس)

(يقف رسول دوقوه ملك الصقالبة)

رسول الصقالبة : ملــك الصــقالبةِ العظــيم أنــابني
عنــه لأحمــلَ للخليفــةِ وده
لــم يهــدِ غيــر ولائــه، وولاؤه
أغلْــى الــذخائر والنفــائس عنــده

الناصر : مــولاك "دوقــوه" الفتــي عرفتُــه
وعرفــتُ والــده العظــيم وجــده

الرسول : لما ارتَقى مـولاي عـرشَ جـدودِه
بــاليمن أرســلني أُجــدد عهــده

(١) الخفض: العيش الهني.

قالَ اغتـنم إن جئـت يـوم جلوسِـه
للوافـدين فـرد كغيـرك ورده

واشـهده فـي بـردِ النبـي وسـيفهِ
فامسـح حمائلَـه، وقبـل بـرده

(يتقدم كمن يحاول ذلك)

الناصر : مهلاً رسـولَ أخـي الكـريمِ فبيننـا
عهـد زكـت أعراقـه وأواصِـره

مـولاي يزجـي التهنئـاتِ كريمـةً

الرسول : بالنصر لم يسـأس لغيـرك نـافره

ما زلت تغـزو كـل مصـرٍ بالقنـا
والهدي يصـطَحب القنـا ويسـايره

حتـى أقمـت الملـك أورقَ عـوده
وترفعـت أقلامـه ومنـابره

كرمـتَ أحكـام المسـيح وهديـه
وسمتْ لـديك مسـوحه وشـعائره

مولاي ملْكُك لن يراع علـى المـدى
والناصـر الملـك المؤيـد ناصـره

(يجلس الرسول ثم يعود فينهض كمن نسي شيئًا)

مـولاي مجلسـك الجليـلُ وروعـةٌ
لـك.. أنْسـياني مطْلبـا مـأمولا

وذُهِلتُ حين وقفتُ فـي تَـبج السـنا
اللمـاح وازداد الـذهول ذُهـولا

الناصر : هل مطلب لأخي؟ ألا عجلْ به

الرسول : مولاي دمتَ الواهب المسئولا
هذي جيوشُك لم تَر الدنيا لها
بين الجيوشِ الظافراتِ مثيلا
هذبتهم بجليل ما استحدثتَه
وهديتهم للمكْرماتِ سبيلا
(يتردد في خجل) فابعثْ إلينا من يهذب جيشَنا
فيذود عنا عاديا وصؤُولا [1]
جيرانُنا يتَنَمرون لنا، ولن
يثبوا بنا ما دمتَ أنت كفِيلا
هذا رجاء أخيك فابذُلْه له
لا زلت ظِلا للْملوكِ ظليلا

الناصر (الحكم) : أبني

الحكم : مولاي العظيم

الناصر : انهض بِه
فالعِبء يوشك أن يكون ثَقيلا

الحكم : مولاي مر إن الصعاب إذا التقتْ
بأصيل رأيك ذُللت تذليلا

الناصر : ابعثْ إليهم بابن جهور

الحكم : إنه بين الحضور وسامع ما قِيلا

---

(١) صيغة مبالغة من مسائل، والصائل: الواثب القاهر.

ابن جهور : مـ ـولاي مـ ـر امـ ـضِ الغَـ ـداةِ

الناصر : فسِـ ـر لَهـ ـم

وتـ ـوخ فـ ـي إصـ ـلاحِك التسـ ـهيلا

لا تـ ـنْس أنـ ـي قـ ـد بعثتـ ـك هاديـ ـا

- فاخشَ الإله – ومصلحا ورسـ ـولا

(يجلس ابن جهور ويجلس الحكم والرسول)

(يقف رسول ملك الألمان)

الرسول : من بلادِ الألمـ ـان جئنـ ـاك يـ ـا مـ ـو

لاي وفـ ـدا عـ ـن عاهـ ـل الألْمـ ـان

قـ ـد قطَعنَـ ـا لـ ـك التخـ ـوم وجبنـ ـا

فـ ـي بـ ـلاد الأعـ ـداءِ والخُلْصـ ـان

وبلغْنا البرنـ ـات [1] ذا القُلَـ ـل البيـ ـ

ـضاءِ فالنهر فالغَيـ ـاض الحـ ـوانِي

ثـ ـم قـ ـال الـ ـدليلُ قرطبـ ـةُ الشهـ ـ

ـباء قُلْنَـ ـا: أشـ ـرفةٌ فـ ـي الجنـ ـان

مـ ـا رأينـ ـا – وقـ ـد رأينـ ـا بـ ـلاد الأ

رضِ – أشـ ـباه هـ ـذه البلـ ـدان

أو خبرنا – وقد خبرنا الملـ ـوك الـ ـ

ـصيد – نـ ـدا لعابـ ـد الرحمـ ـان

ذي الحجا والجلال والحـ ـزمِ والإيـ ـ

ـوان يسـ ـنَى والتـ ـاج والصـ ـولجان

---

(١) البرنات: جبال البرانس.

والقنا والبنـودِ، والجـيش والأسـ ـ
ـطول غَنـى سـناهما المشـرقان

الناصر : بعــض هــذا رســولَ آتــون إن
الملــك فــانٍ، وكــل حــي فــان
مــ ــا بنينَــ ــا إلا لتمجيــ ــد رب
أخضــ ــع الكائنــ ــاتِ للإنســ ــان
وحباه الحصاةَ [1] يرقى إلى الفَضـ ـ
ـ ــل بهــا والكمــال والإتقــان

الرسول : ســ ـ ـيدي العاهـ ـ ـلُ العظـ ـ ـيم

الناصر : تَحـ ــدثْ
عن صـديقي آتـون مـا أنبـاؤُه؟

الرسول : هو في نعمـةٍ، فقـد خَفَـض الـرأ
س خضـ ـوعا لسـ ـيفه أعـ ـداؤُه

الناصر (في حدة هادئة) : لــيس أعــداؤُه أولئــك فــاعلم
إن أضــرى خصــومِه أصــفياؤُه
هم ولاةُ الثغـور، هـم وزارء الـ ـ
ـملاكِ، هم رهطُـه، وهـم أمـراؤه

(في اعتداد) قـلْ لمـولاك يجمـعِ الأمـر يسـلْم
رب عـ ـرشٍ أودتْ بـ ــه وزراؤُه
ذاك هدي التاريخ فاعلم.. فَمـا أفـ ـ

(١) الحصاة: العقل.

ـ ــلح ملْــك تعــددتْ أوليــاؤُه

الرسول : تلـ ـك عليـ ـا مقـ ـاطع الـ ـرأي

الناصر : بـ ـلْ ذ

لك ضوء التجريبِ يهـ ـدي فَنُهـ ـدى

قـ ـد خبرنـ ـا فلـ ـم نجـ ـد لصـ ـلاح الأ

مـ ـر إلا النهـ ـوض بـ ـالأمر فَـ ـردا

الرسول : سوفَ أنهـ ـي هـ ـذا الحـ ـديثَ لمـ ـولا

ي، وخير الحديث ما فـ ـاض رشْـ ـدا

الناصر : مـ ـ ـن أرى فـ ـ ـي جـ ـ ـوارك؟

القس : القس دي جور

س سفير لم يغْـ ـشَ قُـ ـدس رحابِـ ـك

منـ ـذ عـ ـامين فـ ـي بـ ـلادك يلْقَـ ـى

دونـ ـه حيـ ـثُ حـ ـل سِـ ـتْر حِجابِـ ـك

الناصر : أعتــاب هــذا؟

القس : تعاليـ ـتَ إن الـ ـ

ـ ـعتب لا يرتقـ ـي إلـ ـى أعتابِـ ـك

عز مـ ـن جـ ـاده السـ ـنا مـ ـن محيـ ـا

ك، ومن ظـ ـل مـ ـاثلاً عنـ ـد بابـ ـك

الناصر : لم تكـ ـن محسـ ـن السـ ـفارةِ يـ ـا قـ ـ

ـس وإن كنتَ مـ ـن دهـ ـاةِ الساسـ ـه

القس : غـ ـافر الـ ـذنبِ، قابـ ـلُ التـ ـوبِ

الناصر : لا ذنـ ـ ـ

ـب، ولكن لم يقْض حـق الكياسـه

القس : هـــددتْ أمننَـــا أبالســـةُ البحـــ ـ

ـ ــر، وذؤبانُـــه مـــن المســـلينا

فَنفرنـــا إلـــى رحابـــك شـــاكين

الناصر : أجئـــتم شـــاكين أم مغْضـــبينا

قبل كتـب جئـتم بهـا!

القس : قـــد فعلنـــا

والتمســـنا عقوبـــةَ المعتـــدينَا

الحكم (معترضا) : أفكُتْـب الإنكـار تُحمـلُ للناصـر؟

القس : لا بـــلْ ظُلامـــةُ المرهقينَـــا

أوحـــدي الزمـــان أنـــتَ، وميـــزا

ن هـــداه، وســـيد العالمينَـــا

فلمـــن نلجـــأُ الغـــداةَ إذا اجتيـــ ـ

ـ ـــح حمانـــا، وروع الآمنونَـــا

الناصر (في اعتداد وتلطف) : لا عليكم فَقد رضـينا...

القس (فـى فـرح ويتقدم لتقبيل يده) : تَعاليـــــتَ

الناصر (وهو يعطيه يده لتقبيلها) : وهـــاك الـــدليل أنـــا رضـــينَا

رسول الألمان : إن لـــي مطلبـــا أتـــأذن يـــا مـــو

لاي في عرضِـه عليـك؟

الناصر : أذنـــا

الرسول : أختُ مـولاي منـذ عـامين تشـكو

مرضـــا حيـــر الأســـاةَ وعنـــى

قيـــلَ فاســـتقدموا أســـاةَ أتينَـــا

وأطبـــــاء رومــــــةٍ فَفَعلْنَـــــا

فـــانثنوا عـــاجزين عنهـــا، وقـــالوا

فاقْصِـــدوا الناصـــر العظـــيم فجئنـــا

إن في ملْكـــهِ الأطبـــاء عبـــوا الـــ

ـــطب علْما وزاولـــوا الطـــب فَنـــا

ملـــك يقـــدر النبـــوغَ فيزهـــى

فـــي حمـــاه هـــذا النبـــوغُ ويســـنَى

الناصر (للحكم) : يا بنَي استمع له يصفِ العلةَ واندب طبيب هذا الداءِ أيما علةٍ فعندِي بحمدِ الله من ربها من العلماءِ

(يجلس الرسول والحكم)

(يقف رسول ملك نفارة)

الرسول : إلى الناصر المـــأمول مـــن بنْبلُونـــةٍ

وأرباضِـــها جئنـــا نُلـــم بـــه وفـــدا

نـــؤدي لـــه مـــن آردون [1] تحيـــةً

ونُزجي إليه فـــي شـــفائِها الحمـــدا

ظفرتَ بنصـــرٍ خالـــد الـــدهر ذكـــره

علينا فلم تخفِـــر ذمامـــا ولا عهـــدا

غضبتَ فلم تَفـــرطْ، وأدبـــتَ حازمـــا

فوالله ما جاوزتَ في حزمِك القَصـــدا

الناصر : تعلمتُ أن الصـــلح مـــن غيـــر ذلـــة

---

(١) آردون يقصد المؤلف أن التحية من أبناء آردون الذي كان ملكًا على تلك الجهـات فـي أوائل عهد الناصر.

تُصب على المهزومِ، لا يورثُ الحقْدا

وأدركْتُ أن الصلْح يبقَى على المـدى

إذا كان حِلْفًا بـين نِـدين أو عقْـدا

الرسول (في ضراعة) : بحقـك، بالإسـلام، بالـذروة التـي

رفعتَ لهـا ملكًـا تطـول وامتـدا

بكـل جليـلِ مـن أُميـةَ كـابرٍ

يضـم رداءاه السـماحةَ والمجـدا

أَقِلْنَا؛ فمذْ أغْضيتَ عنا نَبتْ بنا الـ ـ

ـديار وذُقنا الهون والبأس والجهـدا

أَقِلْنا؟

رويـدا قـد أقلـتُ عِثـاركم

الناصر : وأبـدلْتكُم بعـد الـذي سـاءكم ودا

(بعد تفكير يسير) : سأرفع عـنكم جِزيـةً قـد ضـربتُها

عليكم، ومن أدى الـولاء فقـد أدى

الرسول : بقيـتَ أمـين الله للكـون رحمـةً

وعشتَ يراك الـدهر سـيده الفـردا

حملنـا لمولانَـا العظـيم هديـةً

فقد عظم المهدى إليـه

الناصر : ومـن أهـدى

قَبِلْنَا هـداياكُم فـلا رفْـض عنْـدنَا

لزلْفَـى ذوي الـود القـديم ولا ردا

الرسول : حملْنا إلـى أعتْـاب مـولاي قَينـةً

نفاريةً إن راءهـا القمـر اسـتْخفَى

وأخرى نَمتْ فـي حِضـننا فارسـيةً

تجيد غِناء العرب والضرب والعزفا

أتأذن أن أدعوهما؟

الناصر : افعـ ـ ـ ـلْ..

الرسول : تَقَّـ ـ ـدما..

ولا تَخْشَيا روعـا لديـه ولا خَوفـا

(ويشير لهما في آخر البهو)

(تدخل الجاريتان حتى تقتربا من العرش)

منى : سـ ـلام علـ ـى سـ ـيدِ الخـ ـافقين

ومولاهمـ ـ ـا

الناصر (متطلقًا) : وعليـكِ السلام

سـ ـتلقين عنـ ـدي نعـ ـيم الحيـ ـاةِ

ففـ ـي العـ ـربِ النـ ـاعمون الكـ ـرام

وتـ ـرقَين بـ ـين غَـ ـواني القُصـ ـور

وأُختُـ ـكِ منزلـ ـةً لا تـ ـ ـرام..

فكـ ـل نزيـ ـلِ لـ ـه حرمـ ـةٌ

لـ ـدينا وخالصـ ـةٌ واحتـ ـرام

منى : تعاليـ ـتَ. فضـ ـلُ عظـ ـامِ الملـ ـوك

علـ ـى النـ ـاسِ لـ ـيس بـ ـأعراقِهم

ولا بـ ـالعروش وضـ ـخمِ الجيـ ـوشِ

ولكـ ـ ـن بنابـ ـ ـهِ أخلاقِهـ ـ ـم

الناصر : أجـــــــدتِ

(ثم يلتفت إلى وصيف) غـــلام تَقَـــدمهما

وفـــي حـــرمِ القصـــر أدخلْهمـــا

(ينحني وصيف ويخرج بالجاريتين)

(الرسول يتقدم خطوة أخرى للناصر)

الرسول : مولاي

الناصر : هلْ من مطْلبٍ لك لم تُـبن

عنه؟

الرسول : أجـــلْ مـــولاي

الناصر : طـــالِعني بـــه

الرسول : علمـــاء ملْكـــك صـــنفوا وتَعمقُـــوا

فـــي كـــل فـــن فـــانثنَوا بعجيبـــهِ

عكفُوا على العلْـمِ القَـديمِ فصـوبوا

فيه، فـذاقُوا الجهـد فـي تصـويبهِ

هم هـذبوه منـاهلاً، فالفضـلُ فـي

إبداعـــهِ كالفَضـــل فـــي تهذِيبـــهِ

الناصر : أحسنتَ فامضِ لما أردتَ!

الرسول : رجـــــوتُ أن

تَـــروي بعلْمـــك أمتـــي وبـــلادي

ووددتُ أن نرد الحيـاةَ علـى هـدى

فاسكب علينا مـن سـناك الهـادي

لـــو ينقلُـــون لنَـــا بســـائطَ علمِهـــم

فُقْنا الشعوب حجـى وفضـلَ سـدادِ

الناصر : إنـي لأرجـو أن أجِيـب رجـاءكم

الرسول : مـولاي فانْظُرنـا وأدركنـا بـهِ

الناصر (فى تفكير) : الأمـــر مضـــطرب العبـــابِ

الرسول : رضـــاك يـــا

مـولاي عـدتُنا لخـوضِ عبابـهِ

الناصر : العلـم إن ينْقَـل لكـم لـم يجـدِكم

ما لم تجيئُوا الصـرح مـن أبوابـهِ

هبوا ادفعـوا أُميـة عصـفَتْ بكـم

ثـم اطْلبـوه بعـد حـق طِلابـهِ

هي من حِجابِ النورِ عن وعي الورى

بـلْ إنهـا لا ريـب شـر حجابـهِ

(ثم يلتفت للحكم)

بنـــي قـــد آن لأضـــيافنا

أن يسـتريحوا بعـد مكـثٍ مديـد

(يقف فيقف الجميع)

فـأذن لهـم يمضـوا فقـد شَـفهم

فـي يومِنَـا هـذا عنَـاء شـديد

أنـــهِ لهـــم أنـــي غـــدا جـــالِس

فـــآذن، فليأتِنـــا مـــن يريـــد

(يخرج الناصر في موكبه)

(وتتبعه الوفود حتى الباب ثم يرجعون)

(يبدأ الوفود في الخروج وهم يحادثون الحكم وعبد الله ويسـتأذنون الحكم خاصة)

بعض الوفود (للحكم) : يـــوم أغَـــر عظـــيم ... مــا مــر أعظــم منْــه

آخرون : لـو رام قيصـر مـثلاً ... لـــه لقصـــر عنْـــه

آخر (لعبد الله) : يهنيــك مجــد جســيم

عبد الله (في فتور) : ... المجـــد للهِ وحـــده!

مــا إن تَطَــاولَ عــز ... إلا تضـــاءل عِنـــده

آخرون : مولاي فأْذَن

الحكم : أذنـــا

آخرون : ... تعهـــد الله مجـــدك

وزادك الله فضـــلاً، ... وظـــاهر الله جنْـــدك

(وتتزاحم الوفود في الخروج)

(وفي هذا الهرج يقف اثنان من وفد نفارة هما الرسول وآخر فـي الناحية اليسرى من المسرح... ويقف في الناحيـة اليمنـى منـذر وعبد الله)

منذر (لعبد الله) : مـولاي فـاض الإنـاء ... مولاي أكـدى [1] الرجـاء

مولاي قد عِيلَ صـبري

عبد الله : ... فاخْضـع لحكْـم القضـاء

مــا حــل بالعبــد إلا ... مــا شــاء رب الســماء

(في الناحية اليسرى من المسرح)

رسول نفارة : لقـــد بلَغْنـــا منَانَـــا

زميله : ... بـــلْ لـــم نَـــنَلْهن بعـــد

الرسول : أمـــا دســـنَا إليـــهِ ... موتًـــا يـــروح ويغـــدو

---

(١) أكدى: أخفق.

فــي كبــد ذاتِ سِــوار … وكبــ ــ ــدهن يقُــ ــ ــد [1]
غــدا يخِــر ويهــوي … المســ ــ ــيطر المســ ــ ــتَبد
ما خــاب طالــب ثــأر … وفــ ــي حنايــ ــاه حِقْــ ــد!

(في الناحية الأخرى)

منذر : مــولاي قــلْ لــي إلاَمَ … هــ ــذا الرضــ ــا بالقليــ ــلْ
انقــض إن لــم تُجاهــد … صــرح الرجــاءِ الطويــلْ
وبـــاتَ كُــل عزيـــزٍ … وهـــ ــو المهـــ ــين الــ ــذَليلْ
هـــذَا أخـــوك يغـــالي … فــ ــي ســ ــعيه ويثــ ــابر
أبوك فــي كــل حفْــلِ … يــ ــدعو لــ ــه ويجــ ــاهِر
أراغَ [2] أمــرا عظيمــا

عبد الله (في اضطراب) : … صــ ــ ــهٍ، وإلا فحــ ــ ــاذِر

(في الناحية اليسرى)

زميل الرسول : أمطمــ ــئن إليهــ ــا؟ … أذاتُ عــ ــزمٍ وخــ ــاطر
الرسول : وذاتُ رأي إذا مــ ــ ــا … تعاورتْهــ ــا المخــ ــاطِر
هــي الــردى يتهــادى … فــي مــتْن أقطــع بــاتِر
بــل إنهــا الســم روى … ظُبى [3] المدى والخنَــاجِر
لن ينجــو الجــن منهــا … فكيــفَ ينجــو الناصِــر؟!

(في الناحية الأخرى)

منذر : ولايةٌ العهد!

عبد الله (في تخاذل) : أمســ ــك … فَمــ ــا نــ ــرد المقــ ــادر

---

(١) القد: القطع.

(٢) أراغ: أراد به.

(٣) ظبى: جمع ظبة وهي حد السيف أو السنان.

منذر (فى خطورة) : بـــل المقـــادر تعنـــو لكـــل جلْـــدٍ مخَـــاطِر
مـــولاي إن لـــم تَنلْهـــا فالـــدين لا شـــك خاسِـــر
اذكُـــر جـــدودا بنَـــوه

عبد الله (فى استخذاء) : أجـــلْ فـــإنني ذاكـــر!

منذر : اذكـــر جِهـــاد الأوالـــي واذكـــر جهـــود الأواخِـــر
بنـــي أُميـــةَ هبـــوا أو فاخدِروا في المقاصِـــر
ردوا – وإلا فزولـــوا - عنـــا إمامـــةَ فـــاجر
لـــن يحفـــظَ الله ملكًـــا إذا تـــولاه داعِـــر

(في الناحية اليسرى)

الرسول : نافـــار تلـــك فَقـــري أخـــرى النســـين الجـــوائِر
قـــل للخليفـــة هـــذي كـــأس الهـــوان فعـــاقِر
ويـــا بـــلاد الأعـــادِي دارتْ عليـــكِ الـــدوائِر

(في الناحية الأخرى)

عبد الله : ابذُلْ لي الرأي

منذر : فـــانْهض بالعِبء واغْـــشَ المخَـــاطِر
مولاي فاعمـــلْ ودبـــر واضرب وســـاور وبـــادِر

ستـــار

الفصل الثاني

المشهد الأول

في قصر الزهراء

(بهو ذو أعمدة منسق أفخم تنسيق. يطـل علـى نوافير مياه ذات ألوان. "وفاء مشـتغلة بتنسـيق الزهر في الأواني... وتغني أصـواتًا حزينـة لا مدلول لها").

وفاء : أُحِب الزهر في الروضِ علـى أغصـانِهِ المُلْـدِ [1]
ولا أهـ ـواه مجنِيـ ـا ذليـ ـلَ الطـ ـرفِ والخَـ ـد
وكـ ـم أرثِـ ـي لـ ـه إن رف فـ ـي آنيـ ـةِ الـ ـوردِ
فـإن الأسـ ـر ممقُـ ـوتٌ ولـ ـو فـ ـي جنـ ـةِ الخُلْـ ـدِ
(تدخل فوز)
فوز ما الأنْبـاء؟

فوز : أمن وسـ ـلام يـ ـا وفـ ـاء
لَـيس بالقَصـ ـر جديـ ـد غيـ ـر دعـ ـوى السـ ـفهاء
قِيـ ـلَ فالناصِـ ـر يعنَـ ـي بِمنًـ ـى بـ ـين النسـ ـاء

وفاء : وهـ ـي؟

فوز : من تَدرين أُختًا ه ذكـ ـاء ودهـ ـاء
تُظْهر الصد.. فإن أعـ ـرض ألْقـ ـتْ بالرجـ ـاء
حِيلُ النسوان مـ ـذْ كـ ـا ن الرجـ ـالُ الأغبيـ ـاء

وفاء : لا تزيدي!!

---

(١) جمع أملد وهو الناعم اللين.

فوز : ذاك همـس راح فـي القَصـر وجـاء

لسـتُ أدري أصـحيح هـو أم محـض افْتـراء

وفاء : إنـه حتـى إذا صـ ـ ـح افتراء فـي افتـراء!

فوز (في دهشة) : إنـه حتـى إذا صـ ـ ـح افتراء فـي افتـراء؟!

ويك لن يبلغ هـذا الـ ـ ـ ـعقلَ أذكـى الـوزراء

هكـذا فلـتكن الخَـدم عِنْـ ـد الخُلَفـ ـاء

وفاء (وهي تنصت للخارج) : مـن قـادم يـا فـوز مـن بعِيـدِ؟

فوز : تلـك منـي تجـيء مـع تَغْريـدِ

لا نُبصـر القَينَـةَ دون الأخْـرى

وفاء (في إشفاق) : غريبتـان تجرعـان الأسـرا

قيـلَ الغريـب يـألفُ الغَريبـا

كالمـاءِ شـف الـذهب [1] المسـكوبا

فلنُخْـل هـذا البهـو للخَـودين

فوز (في تبرم) : يـا لعنـةَ الله علـى الثّنْتَـين!

(تخرجان)

(تدخل منى وتغريد، وتغريد تحمل عودها)

---

(١) المقصود الخمر ذو اللون الذهبي.

المشهد الثاني

منى : تغريـد

تغريد : سـيدتي الكريمـةُ

منى : أبشـري

تغريد : مـاذا أأنجحـت الأمـور؟

منى : تكـاد!

تغريد : طال المقام بنا

منى : اصبري لـم يقْتَسـر

بِسِوى الجهـودِ الناصِـبات مـراد

ما كان من هـزل الأمـور مجِيئُنَـا

تغريـد بـل هـي غَـزوةٌ وجِهـاد

وتجـرد لله جـل جلالُـه

نُجـح نفـوز بـه أو استشـهاد

مـا بالتخـاذل والتهـاتر أدركـتْ

أُمـم بدائِـد حقهـا، وبـلاد

لا عـيشَ إلا فـي ظـلال كرامـة

والمـوتُ أقتـلُ منْـه الاسـتعباد

تغريد : أقسمتُ، مـولاتي، بمجـدكِ فارعـا

وبكـل أبلـج مـن نَفـارةَ مفْضِـل

مـا مسـني فيمـا حملنـا ثِقْلُـه

ماٌـــلٌ.. ولكـــن خِفــةُ المتَعجـــل

مـــولاتي.. الأيـــام مســـرعةٌ فَمـــن

يطأْـــب جليـــلَ الأمـــر لـــم يتَمهـــل

منى : أدري... ولكنـــي ُأصـــاوِلُ دولـــةً

بلغت بنـــور العقـــل أكْـــرم منْـــزِل

أَلِقَـــتْ مـــداركُها، ورف ذكاؤهـــا

فتكـــاد تلمـــح كـــل غَيـــبٍ مقْبِـــلِ

(ثم تجذبها في اهتمام إلى ناحية)

تغريـــد..

تغريد : مولاِتي

منى : قطعنا – فاهدِئي

: نِصفَ الطريـــق

تغريد : بِحـــق مـــريم أكْمِلـــي

منى : نبهـــتُ فـــي شـــفق حفيظَـــة ثأرِهـــا

فزكتْ، وقلتُ العار إن لـــم تفعلـــي

أشـــعلتُ كـــامن حقـــدِها فلعلهـــا

تمضِي إلى الجلـــى بِحقـــدٍ مشْـــعل

رب اســـتعنتُك فـــارع أمتـــك التـــي

عبـــدتْك لـــم تُســـلِم ولـــم تَتَحـــول

لقضى علينـــا المســـلمون وأجهـــزوا

إن لم تُطالعنَا بنصـــرك مِـــن عـــل

تغريد : مولاتي الحسناء هل تُفْضِـــين بالـــ

ـ ـ ـهين اليسـ ـير إذا سـ ـألتُكِ؟..

منى : فاسألي

تغريد (في حيرة) : إنـ ـي أرى أشـ ـياء يـ ـنقُض بعضـ ـها

بعضا عنيتِ بهن فـ ـي وقـ ـت معـ ـا

وثقـ ـتِ بـ ـالزهراءِ عهـ ـد صـ ـداقةٍ

في حين باتَ بـ ـكِ الخليفـ ـةُ مولَعـ ـا

واختصـ ـكِ الحكـ ـم الغَـ ـداةَ بموثـ ـقٍ

مـ ـ ـن وده فَزكـ ـ ـا ورف وأينَعـ ـ ـا

ورآكِ عبـ ـ ـد الله أهـ ـ ـلاً للـ ـ ـذي

أضفَى عليكِ من الوفـ ـاءِ وموضِـ ـعا

أهـ ـديتني للـ ـ رأي؟

منى : ذو الآراءِ مـ ـ ـ ـ ـن

يسـ ـ ـتلهم الأحـ ـ ـداثَ فـ ـ ـي آرائِـ ـ ـهِ

قـ ـ ـد يبـ ـ ـرم التـ ـ ـدبير ثـ ـ ـم يحلـ ـ ـه

ما بـ ـين ضـ ـحوةِ يومـ ـهِ ومسـ ـائِهِ

(ثم تقول في خطورة بالغة)

تغريد، خُطتُنـ ـا انـ ـدلاع النـ ـار فـ ـي

ملـ ـكِ الخليفـ ـةِ: أرضِـ ـهِ، وسـ ـمائِهِ

نَمضِي على شتى المناهج مـ ـا وقَـ ـتْ

بـ ـ ـزوال شـ ـ ـامخ ملْكـ ـ ـهِ وفَنَائِـ ـ ـهِ

تغريـ ـد مـ ـا مـ ـن ثُغْـ ـرةٍ تَبـ ـدو لَنـ ـا

إلا اقْحمنَاهـ ـ ـا لِـ ـ ـدك بنَائِـ ـ ـهِ

فـــي نفسِـــه أو دينِـــه أو تاجِـــهِ
هـــدفٌ لِنقمتِنـــا، وفـــي أبنائِـــهِ

تغريد : أضـــفَى عليـــك الله مـــن تأييـــدِهِ
ما تَظهرين [١] بـه علـى أعدائِـهِ

منى (في حقد) : أحكمتُ في خَـدعِ الخليفـةِ حيلَتِـي
فغـدوتُ بعـض هنائِـهِ ورجائِـهِ
وبثَثتُ للحكّـم الشّـباك وقلـتُ: يـا
حـواء فانْقَضـى علَـى غُلَوائِـهِ
ورأيـتُ عبـد الله منطويـا علَـى
حقد جهدتُ – العام – فـي إذكائِـهِ
هو مزمِع الحـدثِ الجسـيم فَمخْفـقٌ
فَمكفـــر عـــن طَيشِـــهِ بِدِمائِـــهِ

تغريد : ما ذالـك الحـدثُ؟

منى : اصبري هو بعد فـي
صلْبِ الزمان وفي مصـون خَفَائِـهِ

تغريد : أهـــواه للزهـــراءِ مـــا تَعنِينَـــه؟؟
فلقـد تَدلـه فـي هـوى زهرائِـهِ

منى : بعض الأنـاةِ اليـوم وارتقبـي غَـدا
يفْضح لـكِ المطـوي مـن أنبائِـهِ
إني جمعـتُ الأمـر مـن أقطـارِهِ

---

(١) ظهر عليه أي: غلبه.

وحزمتُه.. لم يبـقَ غَيـر مضـائِهِ

تغريد : كيفَ اهتَديتِ لذاك! تلْك جزالـةُ الْـ ـ

ـعقْل الرفيعِ، وذاك ضـوء ذكائِـهِ

منى (في حدة) : لا.. بلْ هدِيتُ بفَطـرةِ المكلـومِ فـي

أوطَانــهِ، المنكُــوبِ فــي آبائِــهِ

(يسمع وقع أقدام)

من مقْبـلٌ

تغريد : لا تَجزعـي سـيدتي، هـذِي شَـفَقْ

منى : أرغــب فــي لقائِهــا خاليـ ـ ـةً

تغريد : فلْنفترقْ!

(تخرج تغريد)

المشهد الثالث

(تدخل شفق)

منى : شفقٌ

شفق : منَى الحسـناء؟

منى : ما الحسناء إلا فـي نِقابـك

ظميء الجمال فلم يبـ ـل صداه إلا من رضابك

شفق (ضاحكة) : ويح النساء أحـب مـا يحِبنَـه زور الثنَـاءِ

إن فاتَهن لـدى الرجـا ل

منى (ضاحكة) : طلبنَـه عِنْـد النسـاءِ

من أين؟

شفق : من غُرفِ الخليـ ـفةِ

منى : مـا وراءكِ خَبَـري؟

هـلْ مـن جديـدٍ؟

شفق : لا جديـ ـد سوى..

منى : سـوى مـاذا؟

شفق : اصبري

إن الخليفـةَ رد عبـ ـد الله ثـم تَجهمـه

منى : أعرفتِ من سـبب لـذا ك؟

شفق : وكيفَ لِي أن أعلَمـه؟!

إن الخليفَـةَ والِـد بـر، وعبـد اللهِ عـف

منى : أدري. ولكـن الخصـا م يـدِب بينَهمـا ويضـفُو

شفق : خُلُقُ الكرامِ! فليس بيـ ـ ـن ابنٍ وبـ ـين أبيـ ـهِ خُلْـ فُ
ما كـ ـان إلا والــ دا يهفو ابنُـ ـه هونًـ ـا فيعفُـ ـو

منى (فى حنو) : شَفقُ العزيزةُ مـ ـا تـ ـزا لـ ـين الوفيـ ـةَ للطّغـ ـامِ
الظالِمين الغاصبين النـ ـ ـاقضين عـ ـرى الـ ـذمامِ
المعتـ ـدين علـ ـى بـ ـلا دكِ بـ ـين أطْـ ـواءِ الظـ ـلامِ

شفق : هذا المعاد من الحديـ ـ ـثِ.. أما سئمتِ؟

منى (فى حدة) : أما فهمت؟!
قد كنت أرجو أن تَـ ـرى وضح السبيل فأنـ ـتِ أنْـ ـتِ
هذي بلادك قـ ـد دعتْـ ـ ـكِ فإن خَذَلْتِ لقد أثِمـ ـتِ!
(يدخل الناصر والحكم)

المشهد الرابع

أميـــــر المـــــؤمنين هنَـــــا

شفق : ومـــاذا

الناصر (فى حنو) : عليـــه إذا تفقَـــد مـــن أعـــزا

شفق : بقيـــتَ تُقَلـــد الإســـلام مجـــدا

على مجـــدٍ وتكســـو الملْـــك عِـــزا

منى : ودمـــتَ مـــلاذَ كـــل جليـــل ملْـــك

إذا ألقَـــى المقـــاد إليـــك عجـــزا

الناصر : أجـــــدت منَـــــى كـــــدأبكِ!

شفق (فى دلال الطفولة) : هلْ أجادت

- فديتك – وحدها؟ فهنـــاك أخْـــرى

الناصر (في مرح) : أغَيرى؟

شفق : لاَ وربي..

الناصر : لاَ تُمـــــــاري

ومن خلَـــقَ النســـاء لأنـــتِ غَيـــرى

(يضمها الناصر إلى صدره في حنان بالغ)

وماذا تَصنَعان؟

شفق : تظـــــل تهـــــذِي

فأســـمعها ومـــا أســـطيع صـــبرا

منى : هذَيتُ.. نعم.. فقلـــتُ رويـــتِ حســـنًا

كـــلألاءِ الضـــحى وملْـــتِ ســـحرا

وقلـتُ...

الناصر : كَفَاكُمـا عبثًـا ولهـوا

فقـد هيجتُمـا للقلـبِ ذِكْـرى

ذكـرتُ علـى مِراحِكُمـا شـبابا

مضى، وصِبا كلمحِ الطـرفِ مـرا

فَفُوزا مـن شـبابكما بِـأوفَى الـ ـ

ـ ـذي يعطِيـه، وابتَهجـا وقَـرا

(بعد فترة صمت) وبعـد

شفق : فَما الذي تَبغـي؟ أنمضـي؟

الناصر : أجلْ إن لم تَـرى فـي ذاك ضـيرا

منى (ضاحكة) : كـأن لـديك أسـرارا جسـاما

تحـاذر أن نحـيطَ بهـن خُبـرا

حزرتِ فلـيس مـن خُلُـقِ الغَـواني

- وإن جاهدن – أن يحفَظْـن سِـرا

(تخرجان ضاحكتين)

(ثم يأخذ بيد الحكم إلى ناحية)

بنَـي

الحكم : أبـي ومـولاي المفـدى

الناصر : أمرتُـك يـا بنـي فلـم تُطِعنِـي

الحكم : وكيف أبي؟

الناصر : إلام تَظَـل تـأبى

قَبـولَ العهـدِ؟

الحكم (في ضراعة) : يـ ـــا أبتَـ ـــا أَقِلْنِـ ـــي

الناصـ ـــر (فـ ـــي استنكار) : ُأَقِيلُـ ـــكَ؟ ذاك حـ ـــق الله فـ ـــاعلم

فـ ـإن فرطـ ـتَ فيـ ـهِ فلسـ ـتَ مِنـ ـي

الحكم : ومـ ـ ـــا وجـ ـ ـــه التعجـ ـ ـــل؟

الناصر : أنـ ـت أدرى

بمـ ـا أخشـ ـى الغـ ـداةَ فـ ـلا تَسـ ـلْني

الحكم : وما تخشى – فُـ ـديتَ – فـ ـذاك أمـ ـر

يـ ـؤهلني لـ ـه حقـ ـي وسـ ـني

بقيـ ـتَ تُعِـ ـز للإسـ ـلامِ ملكًـ ـا

وعشـ ـتَ الـ ـدهر تَدعمـ ـه وتَبنِـ ـي

الناصر : أخـ ـــاف تَقَلـ ـــب الآراءِ بعـ ـــدِي

على خُلْف، وبعض الخُلْـ ـف يفْنِـ ـي

وأخشَـ ـــى فتنـ ـــةَ الـ ـــدولاتِ حـ ـــولي

ومـ ـا تطويـ ـه مـ ـن حِقْـ ـدٍ وضِـ ـغْن

الحكم : أبـ ـي أخْضـ ـعتَ كـ ـل عزيـ ـز ملْـ ـكٍ

أبي وفتحـ ـت كُـ ـل منيـ ـع حِصـ ـن

ودوخـ ـــتَ الـ ـــبلاد فمنـ ـــذُ لاذَتْ

بِجاهك عِشْن فـ ـي خَفْـ ـضٍ ويمـ ـن

حطَمتَ عـ ـن الـ ـذين غـ ـزوتَ روّ ـا

وكـ ـــانوا قِبـ ـــلَ ذاك عبيـ ـــد قِـ ـــن

الناصر : بنـ ـــي خصـ ـــومنَا كُثْـ ـــر فَـ ـــدعِنِي

أمــاكِرهم بهــذا العهــدِ دعنــي

بنـي وفـي أخيـك هـوى وطـيشٌ

ومــوقظُ فتنــةِ الطــيشِ التمنــي

بنَي

الحكم : أبــي، أعبــد اللهِ تَعنِــي؟

الناصر : ومن غير الفتَـى المفتـون أعنِـي!

الحكم : أبــي مــا كــان ذا لُــؤمٍ وســوءٍ

أخي

الناصر : أقصــر فــذاك هــو التجنــي

أخــوك جهلتَــه وعميــتَ عنــه

ولكنــي عرفــتُ ضــلالةَ ابنِــي

(ثم ينتحي ناحية ويهمس لنفسه في صوت قاس)

هو العادي على الحرمـاتِ.. ربـي

أنيـب إليـك مِـن وهمِـي وظَنـي

(يدخل وصيف)

وصيف : مولاي

الناصر : هل تَجمعتْ ثِقاتِي؟

وصيف : تَكاملُوا

الناصر : ومجلس الولاةِ؟

وصيف : مجتمِــع فــي قاعــةِ الصــلاتِ

الناصر : فقـــلْ لَهـــم إنـــي إلـــيهم آتِ

(يخرج وصيف)

(للحكم) بنَـي فَكـر فـي الـذي سـمِعتَ

وعـ ــد فَقُـ ــلْ إنّـ ــك قـ ــد أطَعـ ــتَ

(يخرج الناصر والحكم)

المشهد الخامس

(تدخل منى وشفق)

منى : قَلنعــد لِلــذي قطَعنَــا مــن القَــو
ل... عِديني أختاه تَبــرد ضـلُوعِي

شفق : لستُ أستطِيع يا منى لســتُ أستطِيـ ـ
ـع

منى : بل الرأي والنهــى أن تُطيعِـي

شفق : إنمـــا تطلُبـــين أمـــرا عســـيرا

منى : كيفَ هذا؟

شفق : أجــل وجـــد فظيـــعِ
لســـتُ أهــواه يـــا منَـــى

منى : فاخْدعيهِ
نســتَعِن بـــالْمتيم المخْـــدوعِ

شفق : اصـــمتي تلـــك دعـــوةُ العـــار

منى : بـلْ ذا
ك نداء الهــدى فهـلْ مِـن سـميعِ!
أمــةٌ أنــتِ فــي الذؤابــةِ منْهــا
ذاقــتِ الــذل بعــد عِــز رفِيــعِ
في بـلادٍ دِيســتْ وشَـعبٍ تَـردى
فـي قَـرارِ مـن الهـوان وضـيعِ
هتَـك الغاصِـبون مـن كـل طـاغٍ

مسـلمٍ يسـتر مجـدها الممنـوع

أوسـعونا مذلـةً يـا ابنـة العـم

فعشـنا نلتـذ طعـم الخضـوع

كالأرقـاء والعبيـد يـرون الـ ـ

ـ ـبغي حقـا للسـيد المتبـوع

يـا ابنـة العـم!

شفق : فاصمتي لا تهيجي

حزة الـنفس بعـد طـول هجـوع

أنـا بنـت الخليفـة السـمح أفديـ ـ

ـه بنفسـي وعترتـي وجمـوعي

الوفـاء الكـريم يعمـر قلبـي

والـوداد المقـيم مـلء ضـلوعي

منى : أوفـاء لمـن رمـاك فأصـما

ك فـأجلاك عـن حمـاك المريـع

ومشـى بـالردى لوالـدك السمـ ـ

ـ ـج وأودى بعمـك المخلـوع

إن تبنـاك فـاذكري مـن فقـدنا

مـن إمـام عـدل، وملـك منيـع

(فى سخرية) يا ابنـة الناصـر العظـيم.. أحـق

أنت منـه أم مـن أبيـك الصـريع

شفق : أي نجـوى مـن الإثـارة والتحـ ـ

ـريض قـد أشـربت بسـم نقيـع

(ثم في ضراعة) لا تَزيدي أُوديتُ [1]

منى : لا تذْكرى اسما

يا ابنةَ العم قد عفَتْــه [2] الخُطُــوب

كنــتُ أوديــتَ حِــين كُنــتِ بنيلُــو

ب [3] ومِن حولنــا النعــيم القَشــيب

والملــوك الأعلّــون مــن آل بيتِــي

كــل رب لســطْوهم مربــوب [4]

(يبدو على شفق شيء من التأثر)

بنلوب الحسناء هــل تــذْكرين الْــ ـ

ـعيشَ في بنْيلُون [5] وهو رطيــب

الغدير الرجراج، والقصر ذو الأبــ ـ

ـراجِ، والبهــو، والفِنــاء الرحيــب

والجبالُ البيضاء، والبســطُ الخضــ ـ

ـراء والطير، والنــدى المســكوب

(يزداد تأثر شفق وتبدو كأنما هي ذاهلة).

بنيلوب اذْكُري!..

شفق (في ضعف) : تُســ ــاورني الأطــ

ــيافُ مهتــزةً علاهــا الشــحوب

---

(١) أوديت: اسم منى في بلادها.

(٢) عفته أي محته، وعفت الريح المنزل أي درسته.

(٣) بنيلوب: اسم شفق في بلادها، أي قبل أن يأسرها الناصر في الثامنة من عمرها.

(٤) مربوب: أي مملوك.

(٥) عاصمة نافارة بلاد شفق ومنى.

الغدير الرجراج، والقصر ذو الأبـ ـ
ـ راجِ، والبهـ و، والفِنـ اء الرحيـ ب
والْجبالُ البيضاء، والبسـ طُ الخضـ ـ
ـ راء والطير، والنـ دى المسـ كوب
ورِفيقـ ـ اتِي الصـ ـ غيراتُ يحملـ ـ ـْ
ـ ن إلى الروضِ والصباح طَـ روب
ثم نأوي إلى القُصـ ور مـ ع الشمـ ـ
ـ ـ سِ إذا ضـ مها إليـ ه المغيـ ب

منى (في خطورة) : اذْكري..

شفق (في إعياء) : من أرى؟

منى : اذْكري..

شفق : هي أُمي

وإلـ ى حِضـ نِها الـ رؤومِ نـ ؤوب
ومن الأبلـ ج الوسِـ يم علـ ى العـ ر
شِ تجلى؟

منى : هـ ـ ذا أبـ ـ وكِ الحبيـ ـ ب

شفق (فى تأثر بالغ) : ذكريني مـ اذا تَـ لا!!.. تلْـ ك خيـ لٌ
وجنُود!!

منى (فى ثورة) : أجـ ـ لْ ويـ ـ وم عصـ ـ يب

ثم جاء الجبـ ار فـ ي جيشـ هِ الجـ ر
ار... ثـ ـ م التقتِيـ ـ لُ والتخْريـ ـ ب

شفق : إنّها الحرب يـ ا منـ ى، إنهـ ا الحـ ر

ب...

منى : بل البغْي والخنَـا المصـبوب

شفق : ليس بغْيا أن تنْشَـب الحـرب إن لـم
تحسِـم الخُلـفَ بالوئـامِ الشـعوب

منى : أمـةٌ حطمـتْ كمـا يحطَـم الكـو
ب، وملْـك مِـن أهلِـه مسـلُوب

شفق : إنما الحـرب غالـب يملْـك الأمـ
ـر فيطْغَـى، وعـاجِز مغْلـوب

منى : ونســاء جللْــن عــارا، وأطْفَــا
لٌ ضِعافٌ من غَير ذنْـبٍ أصِـيبوا

شفق : قَـدكِ لـم يفْعلـوا الـذي قُلـتِ

منى (فى إنكار) : أنى
لَـكِ هــذا؟

شفق : لأنهـم مسـلمونا
دِيـنُهم حـرم الحـرام وسـن الـ
ـعدلَ والفَضـلَ والسـامحةَ دِينَـا
كتـب الحـرب والقِتـالَ... ولكـن
أمـن الوادِعـاتِ والوادعينَـا
إن فيـه آداب سِـلْمٍ وحـربٍ
صـاغَها الله أحكَـم الحاكمينَـا
تُورثُ الأرض، والسماء، ويفْنَى الـ
ـخَلْقُ، وهو الهدى يضيء القُرونَـا

منى : أي آدابٍ شِـ ـ ـرعةٍ تـ ـ ـ ذكرينَا؟!

أي ديــنٍ هــذا الــذي تَحمــدينَا؟!

لستِ بنتَ الأقيال يـا ابنـةَ رذْهِـ ـ

ـير، فقد شِـئْتِ ذكـرهم أجمعينَـا

لطْخةُ العارِ أنتِ قـد مشَـتِ الأجـ ـ

ـيالَ ثـم اسـتوتْ علـى بمباونَـا

شفق (في ضراعة) : يا ابنَة العم

منى (في حدة) : لستُ مِنكِ

شفق : من القا

دِم.. إنــي أحــس وقْــع مسِــير

مني (في سخرية) : لا تخافي هذا المعنـى بـكِ المشْـ ـ

ـغُوفُ..

شفق : بل إنـه أخِـي وأميـري

وابـن مـن ضـمني لـه قَنَمـاِتي

عند صدر حـان، وحضـنٍ مجِيـر

المشهد السادس

(يدخل الحكم)

الحكـــم ســلام زينــةَ القَصـــــــر

(لشـــفق باسما)

شفق أعز الله مـن حيـا

منى (في مرح مصطنع) إذا يسـنَى بـك القصـــــر فقصر الناصر الدنيا

شفق منًـى أحسـنْتِ تَصـــويبا وهذبتِ الذي قـالا

الحكم ألا هونـا فقــد حملْـــــ ـــتُ أوصـابا وأوجـــالا

وذقـتُ البـأس والحِرمـــا ن ألوانًا وأشْكالا

منى (في مرح مصطنع) أأمضي؟

الحكـــم (مشيرا إلى شفق) إن رأتْ فامضـــي

شفق أقِيمي

منـــى (ضاحكة) جدتِ بـالإذْن

فـإن العـين تهـــديني فَما أحتَاج للإذْن

(يتضاحكون.
تخرج منى)

الحكم (فى ضراعة) بعض الحنَان يا شَـــــــفَقْ — حطم قَلْبي يا شَـفَقْ

أكان ذنْبا يوم ر — ف فاصـــــطفَاك فعشـــــــقْ

وأنه قبلَـكِ مـا — ذاقَ الهـــوى ولا خَفَـــــــقْ

وأنه ضمكِ فـي — حباتِهِ ثُم انْصـفَقْ

لَئِن جنَى فإنـه — عـذب فَـوقَ مـا اســـــــتَحقْ

لو استطاع لَبكَى — ولو أطـاقَ لَنَطَـقْ

ويحِـي لـه إذا اشْــــتكَى — لإلْفِـهِ فَلَـم يـرقْ

وإن هفَا لنَظْـرةٍ — أو بسمةٍ فَلَم يـذُقْ

يصبح لم يغْفُ، فـــــإن — دجا له الليـلُ أرقْ

حدثَنِي أنك أشْـ — فقتِ عليـهِ.. هـلْ صـــــدقْ؟

أتـــرحمين يـــا شَـــــفَقْ! — أتسمعِين يا شَـفَقْ!

شفق (فى ضراعة) أخِي!

الحكم (فــى أخوكِ شقه — وقْد جفَاكِ فاحتَرقْ

ابتهال حالم)

يا نفْحةَ النسـمةِ ـتف جنَى الروضِ
تشْـــــــ العِـــــــــقْ

يا طلْعةَ الفجـر فَجر من السـحبِ
إذا الـــــــ انْبثَـــــــقْ

يا قُبلةَ الطل إذا ـل على الزهـر
الطــــــــ أْئتَلَـــــــقْ

يا نغْمـةَ الليـل ها [1] الليلُ وهـو
شَـــــــدا مغْتَبِـــــــقْ

يا نظْرةَ العتْـبِ ـــعتْب اســتكان
إذا الـــــــ ورقَـــــــقْ

يا رجفةَ الشوقِ ـثغْر على الثغْـر
إذا الـــــــ انْطَبـــــــقْ

يا همسةَ الرضا ـمِ، واللقاء يستَرقْ
الكريـــــــ

لم ينطِق اللفْـظُ فالْتُمِستْ عند الحدقْ
بهـــــــا

شفق فدتْك النفس يـا ي
مـــــــولا

الحكم (في ضراعة) هلا قُلْتِ يـا حكَـم

شفق فما هـذا الـذي ـهِ؟

---

(١) شداها هنا بمعنى: غناها، وعلى هذا يرى الشاعر أنها تتعدى.

تَطْوِيـ ـ ـ ـ ـ ـ

الحكم هذِي النار تَضطَرِم

شفق أسِيتُ لما تُلاقيهِ

الحكم أحق ذاك أم حلُـم

شفق بل الحق الـذي ج فـ ـي نفسـ ـي

يهتـ ـ ـ ـ ـ ـــا ويـ ـ ـ ـ ـ ـ زدحِم

أحبك مذ نشأتُ ألوذُ بهِ وأعتَصِـم

أخًـ ـ ـ ـ ـ ـ ـــا

تُؤلّـــف بيننـــا أبِيك كأنهـا رحِـم

جـ ـ ـ ـ ـ ـــدوى

فقامـــتْ بيننَـــا وحالتْ بيننَا حـ ـرم

حجـ ـ ـ ـ ـ ـــب

هي الأقْدار يـا ي، والأقدار تَحتَكِم

مـ ـ ـ ـ ـ ـ ولا

الحكم ولكن تلك أوهام فلا تَبنِي على الوهِم

فنَحـــي الـــوهم إليك سلامةُ الحكْـمِ

عنـ ـ كِ تَعـ ـ د

(تشيح عنه شفق بوجهها في ألم أو إصرار)

(مستطردا) أهـــذا رأيـــكِ أكان الأمر مقْضِيا

الْفَصـ ـ ـ ـ ـ ـ لُ

ذَرينـــي أطْـــو على أشْجانها طَيـا

أضـ ـ ـ ـ ـ لاعي

إذا دنياي منْـك فماذا تنفَـع الـدنيا

خلَــــــــتْ

شفق ألا شْــيئًا مِــن

الْعــــــــزمِ

الحكم فَهلْ أبقَيتِ لي شَيا

لِمن أحيا إذا لَـم ـمري بيتي؟ لمن

تَعـــــــــ أحيـــــــــا؟

شفق (فـي مرح مصطنع) تَريثْ إن لِلمـرأ ـةِ أطوارا وأشْـكالا

إذا أضحتْ على أجدت بعدها حـالا

حـــــــــالِ

الحكم (في ابتهاج) أذاك الحــق، أم ـن للآمال آمـالا

تَبِنيـــــــــ

صبرنَا.. لن نَمل ـــــر أجيــالاً

الصبـــــــ وأجيـــــالا...

(يدخل عبد الله. يراهما فيتكلف الضحك)

المشهد السابع

عبد الله : لقاء يـدور الهمـس فيـه.. أخَلـوةٌ

شفق (ضاحكة) : هي الخلوةُ الحمقاء في ردهةِ القَصر

عبد الله : وأي عجيــبٍ الأمــر ذَاك فإنمــا

بليغُ سدادِ الرأي في خَلْـوةِ الجهـر

شفق : حــديث خبيــرٍ بــالأمور مجــرب

أحبر [1] غرامٍ أنَت فُديتَ من حبـر

(يتضاحكان. ويبقى الحكم واجما)

عبد الله (للحكم) : أخي ما الذي يضنيك؟ ما لَك واجِما؟

الحكم : وجمتُ لأمرٍ ضاقَ عن حملِه صدري

عبد الله : أكاد أرى حبا وهجـرا فَـلا تَضِـقْ

فإن جمالَ الحب في الوصل والهجر

الحكم : أخِي... دعك مِن هذا المزاحِ، ونَبئِـي

متى كُنْتُ مطْوي الضلوع على شَـر

متى كنـتُ مـدخُولَ الأخُـوة باغِيـا

عبد الله : أخي ما الذي تُلْقِـي؟

الحكم (في حدة) : كأنك لا تَدري

شفق : أَأَمضي؟؟

الحكم : بل ابقَي، إنما أنـتِ أُخْتُنَـا

---

(١) الحبر: العالم.

وعندكِ يرجى الرأي في حازبِ الأمر

أخِـي مـا الـذي أنْكـرتَ منـي؟

عبد الله (في جفاء) : من الذي

يشِي بـي فَتُدنِـهِ إليـك وتَرعـاه؟

وينْقُـلُ عنـي فِريـةً بعـد فِريـة

فَتَسمع مـا يلْقَـى إليـك وترضـاه

(في حدة) يريـدون هـدمِي لا لجـرمٍ جنَيتُـه

ولكن لِـوهمٍ قَـد خَشُـوه، وتَخْشـاه

الحكم : كأنـك تَعنينـي!

عبد الله : أتحسب أننـي

غفَلَـت فلـم أفطِـن لمـا تَتَوخـاه

الحكم (في استنكار) : فطِنتَ ولم تَغْفُلْ؟

عبد الله (في تحد) : أجلْ

شفق (في ضراعة) : هل رجعتُما

إلـى الفَضـل والبقْيـا أعزكمـا الله

الحكم : ألـم تَسـمعِي مـا قـال؟

شفق : هذا الذي أرى

وأسـمع أعـراقُ الأخُـوة تأبـاه

(لعبد الله) تَحـدثْ إليـهِ محسـنًا واسـتَمِع لَـه

يبن لك وجه الحق لا زيـفَ يغْشـاه

سـيلهِ يحـدثْنَا مـن الحاقـد الـذي

رماني بِسهمٍ في الظـلامِ فأصـماني

عبد الله : سلِبيهِ من استَعدى فلـم يـرع حرمـةً

علـي أميـر المـؤمنين فأقْصـانِي

سليهِ...

الحكم : لقد جاوزتَ في جهلك المدى

أكِذْبا وبغْيا – شاه وجهك – في آن؟

عبد الله : أجبِنـي لمـاذَا نَـد عنـي بعطْفِـهِ

أبى – دون ما ذَنْبٍ جنَيتُ – وجافَانِي

وأبرزِني في القَصـر لا ذُو شـفاعةٍ

فَتُرجى، ولا بين الرعيـةِ ذُو شـان

الحكم : أتَعنِـي الـذي تُلْقيـه؟

عبد الله : أعنيـــهِ كُلـــه

شفق : تَريثْ ولا تَعجـل بظُلْـمٍ وعـدوان

عبد الله : هـــو الظـــالِم العـــادي!!

الحكم : ظَلمـــتَ أُخُـــوتي

وهونْتَ إيثاري، وهجنْـتَ إحسـانِي

ستَنْدم فـي يـوم قَريـب إذا انْجلـتْ

عمايـةُ مخْـدوع ونَزغَـةُ شَـيطان

عبد الله : أذاك وعِيـــــــــــــد؟؟

الحكم : بلْ هو الود والوفَا

ودعوةُ ذِي بقْيـا وعهـد أخٍ حـان

شفق (في ضراعة) : حنانيـــك عبــــد اللهِ

عبد الله (في حدة) : كُفّــــي فإنهــــا

ضـــراوة ذئـــبٍ، واســـتكانةُ ثُعبـــان

(يحاول عبد الله الخروج في حدة فتدخل الزهراء فيرجع إلى البهو)

المشهد الثامن

شفق **(وهي تحـاول تغيير الحديث)**	:	زهـراء أهـلاً بالجمـا	ل وبـ ـالجلال ومرحبـ ـا
الزهراء	:	شفقُ العزيـزةُ أمسـكي	إن الجمـالَ هـو الصـبا
		ذهب الشباب، ولن يعـو	د.. فـ ـآذني أن يـ ـذْهبا
		هو بسـمةُ الله الجميـ ـ	ـ ـل إذا أحـب وقربـا
		وهو النعـيم إذا انتشَـى	فصـبا، فحـن، فأطربـا
		وهو الجمالُ منضر الخـ	ـ ـدين، مخضـل الشـفاه
(في صوت حالم)		وهو الربيع الطلْقُ أشْـ	رقَ في حلاه وفـي نَـداه
شفق	:	وهو الهوى الطهر اصطفَـ	ـتْه فباركَتْـه يـد الإلـه
		وهو السنا العلوي شَعـ	ـشَع في الدنا سر الحيـاه
عبد الله **(وهو يحاول استعادة سكينته)**	:	تتحسران علـى الشـبا	بِ، وقد أظَلَكُمـا نَضـيره
		وتَباكيان علـى الجمـا	ل وقـد أعلكُمـا نَميـره
الزهراء	:	من علم الغزلَ الأميـ ـ	ـ ـر فرق
شفق **(في دعابة)**	:		علمـه أميـره
الزهراء **(في دلال)**	:	تعنين مولاي العظـيم؟!	
شفق	:		أجلْ
الزهراء **(في مرح)**	:		وهلْ هـذا يضـيره؟
شفق	:	من قال ذلك؟	
الزهراء **(في مرح)**	:	أنـتِ قلْـ ـ	ـ ـت الآن!
شفق	:		شر القول زوره

(ثم تشير للزهراء وتقول) : إن الخليفَــةَ يطبيـــه [1] زهـــا الجمـــال ويســـتَثيره
فتكـــاد تســـتخْفي بـــدور الـــتم إن بزغَـــتْ بـــدوره

الزهراء (للحكم) : مـــا بالُهـــا تَهـــذي!

الحكم : وهلْ أدري؟

الزهراء : أجـــلْ تَـــدري يقِينَـــا

شفق (في تجاهل) : ولِم؟

الزهراء : الحديثُ يطُولُ إن عالَجتـــه، أفَتأذنينَـــا؟

شفق : قُولي

الحكم (في ضيق) : أمـــا تتـــداعيا ن إلى الوقَـار وترشُـدان

الزهراء : إن الأميـــر لمحنَـــقٌ غَضبان هـل نبأتُمـانِي؟!

الحكم (متجاهلا) : أفتأذنان؟

الزهراء : أجـــلْ

شفق (في غمزة) : أأهديـــه السبيلَ؟

الزهراء (في خبث) : تقَدمِيهِ

هي خَلْوةٌ أُخـرى فـلا تَـــأبي عليـــه ونَوليـــهِ

(الحكم وشفق يخرجان)

الزهراء : مـــا لأخيـــك مغْضـــبا

عبد الله : زهـــراء مـــالِي ولَـــه

زهراء هـلْ رحمتِنـــي فَقَـــد برانـــي الولَـــه

الزهراء : أمـــا تـــزالُ ســـابحا فـــي لُجـــجِ الضـــلال

هـــذا الـــذي تأملُـــه ضـــرب مـــن المحـــال

---

(١) يطبيه: أي: يستميله.

عبد الله : وكيـف يـا زهـراء؟

الزهراء : يأبى الدين...

عبد الله : بـل لا يـأبى

الدين حـب هـل يكُـون الـــدين إلا حبـــا

الزهراء : والعرفُ والأخلاقُ؟

عبد الله : هلْ خَففْــتِ مــن عقائِــدك

هذا الهوى بـرح بـي

الزهراء : فَعــد إلــى محامِــدِك

واجنَح إلى الرشْد فَـلا تَبــغ فــراشَ والـدِك

عبد الله (في استنكار) : مــا مطْلبــي فراشُــه إنــــي إذَن لَوغْــــد

ما رمتُ إلا حبك الـ ــطهر، فــذاك الخُلْــد

هيكلُــكِ القُــدس لَــه ولِــي الهــوى والوجــد

زهراء؟!

الزهراء : هذي دعوةُ الإثْــم أتَرضــى الإثمــا؟

عبد الله (في ثورة) : زهراء هذا أفْدح الظــلْمِ فنَحــي الظلْمــا..

لــئن تســراكِ أبــي فَمــا جِنَــايتي أنــا؟

أنــتِ لَديـــهِ امــرأةٌ وأنْــتِ لــي مــلْء الـدنا

ولســتِ كـــل همـــه ولَــيس لــي عنْــك غِنَــى

فاصــطَنعي العــدلَ - أرق

العدل - واقْضــــي بينَنــــا

الزهراء : قَــدك [1] فقــد جــرتَ على الـ

---

(١) قدك: حسبك.

ـفَضل، وغـ ـ ـ ـررتَ بِنَـ ـ ـ ـا

عبد الله : إذَا القُلـ ـوب ائْتلفَـ ـتْ فـ ـالعيشُ روض وجنَـ ـى

والعمر فيض من سنا الْـ ـ ـخُلْدِ، ورفـ ـافِ الْمنَـ ـى

الزهراء (في حزم) : إن القُلـ ـوب إن سـ ـمتْ لـ ـم تـ ـأتَلِفْ علـ ـى خَنَـ ـا

(تحاول الخروج فيمنعها بيديه)

عبد الله : زهـ ـراء هـ ـلْ ذَاهبـ ـةٌ

الزهراء : أجـ ـلْ فمـ ـا مكْثـ ـي هنَـ ـا

آليتُ [1] بعـ ـد اليـ ـومِ لاَ أُلْقِـ ـي لهـ ـذا أُذُنَـ ـا

جاهدتُ أن أدفـ ـع هـ ـ ـذا العار عنْك وعنَـ ـا [2]

باذِلـ ـةً مـ ـن سِـ ـيرتي ومِـ ـن وفَـ ـائي الثّمنَـ ـا

فلـ ـم تَـ ـزدك حِكْمتـ ـي إلا ضـ ـ ـلالاً بينَـ ـ ـا

عبد الله : لَشد ما هجـ ـتِ الأسـ ـى فـ ـي أضـ ـلُعي والحزنَـ ـا

أحِـ ـس بغْضـ ـا وقِلاً ـى

الزهراء : بـ ـل احتقَـ ـارا ممعِنَـ ـا

عبد الله (في حقد) : إذْن فقـ ـد صـ ـح الـ ـذي قالُوا!

الزهراء : أأفصـ ـحتَ لَنـ ـا؟

عبد الله (في حقد) : يـ ـا لَـ ـكِ مـ ـن خادِعـ ـةٍ لا تسـ ـألي فَتَنْـ ـدمِي

زالت عن الْعينين والـ ـ ـقَلْبِ غِشَـ ـاوةُ العمـ ـى

أنْـ ـتِ لَـ ـه خَلِيلـ ـةٌ

الزهراء : لِمن؟

عبد الله : لِهـ ـ ـذَا الحكَـ ـ ـمِ

---

(١) آليت: أقسمت.

(٢) أصلها عنا مشددة وخففت هنا في لغة صحيحة.

الزهراء (في دهشة) : أخُوك؟

عبد الله : ويـك أمسكي | لست أخَا لمجرمِ

الزهراء : ويحك قد أسفَفْتَ حتـ | ـى في اختلاق التهمِ

وشِئْتَ كُل مشْرقٍ | مِن خُلُقٍ وكَرمِ

عبد الله (في تحد) : كنتِ له شَريكةً | عند أبي في هدمي

علمتُ عن مُؤْتَمنٍ

الزهراء : | مرحى بهذا العلْمِ

ظَلَمتَ دون موجبٍ | أخَاك أي ظُلْمِ

عبد الله (في تهديد) : ثوبوا إلى الرشْد، ولا | تَعرضوا لهضمي

لستُ طعام أحد | إني لَمرُّ الطعمِ

لن تَبلُغوا مأربكُم | وفي يدي سهمي

الزهراء : أموعِدا، مهددا | عد لهدى وحكْمِ

أقسمتُ بالله الذي | نُسكي له وصومي

إن أخَاك لم يفض | عليك غَير السلْمِ

(في حدة) وقد يكون عالِما | بما إليه تَرمي

عبد الله : ماذا تقولين فَفي | قَولِكِ ذَوب السم

هلا أبنْتِ؟ أفْصِحي

الزهراء (في خطورة) : | أقْص دعاةَ الإثْمِ

ساقُوك أو كادوا إلى الـ | ـجرمِ أشد الجرمِ

(يدخل وصيف)

وصيف : مولاي هذا منْذر | يسعى إلَيك

الزهراء (في استهزاء وهي تخرج) : | لاقِهِ

ألْق له أُذْنًا وللثـ | ـوار مِن رفاقِهِ

إني هنَا حارسـةُ الـ ـ ملْكِ

عبد الله (في سخرية) : أأنْـ ـت الحارسـ ـه

أفْـدِي بـأهلي ودمِـي حارسـ ـ ـه وسائِسـ ـ ـه!

(تخرج الزهراء)

(مستمرا) مـ ـاذا تُـ ـرى الزهـ ـراء مِـ ـن

سِـ ـري الــذي أطْويــهِ تَــدري؟

أتَبينَـ ـ ـ ـتْ كُنْـ ـ ـ ـه الـ ـ ـ ـذي

نَمضِـ ـي لـ ـه وبـ ـأي قَـ ـدرِ؟

(في حدة) زهـ ـراء لَـ ـن أُبقِـ ـي عليـ ـ ـ

ـ ـكِ إذا كَشَـفْتِ مضـون سـري

(ثم في ضعف) لكنـ ـ ـ ـي أهـ ـ ـ ـواكِ فـ ـ ـ ـأ

تَمِـ ـري علــى قَتْلــي وقَـ ـري

هـ ـل تَفْعلـ ـين؟ لـ ـئن فعلْـ ـ ـ

ـ ـتِ لهـان فـي عينـي أمـري

حبيـ ـكِ يسـ ـري فـ ـي دمِـ ـي

ويسـيلُ فــي روحِــى ويجــري

ـيهـ ـواك.. لـ ـن يهـ ـدا هـ ـوا

ـكِ، ولـن يمـل الصـبر صـبري

(يدخل منذر ووصيف)

المشهد التاسع

منذر : مولاي

عبد الله : منْـذر مـا وراءك؟

منذر : عنْدي النبـأ العتِيـد

المجد والنصـر الـذي نرجوه، والأمـلُ السـعيد

(تفتح كوة في مكان عال ويظهر منها رأس منى كأنها تتسمع)

وصيف (في ضيق) : قُـلْ.. مـن يـزف البشْـريات فـلا يطيـلُ ولا يعيـد

عبد الله : هـلْ أقبلُـوا

منذر : وصـلُوا عِشـاء الأمـس

عبد الله : هـلْ جـاء الولِيـد؟

منذر : بشْـراك جـاء مـع ابـن عبـدِ البر

عبد الله : بـلْ قُـلْ بشْـريان...

منذر : أسـكَنْتُهم قصـر الصـفا [1] بـين الرفَاغـةِ والأمـان

عبد الله : أرأيـتَهم؟ أسـمِعتَ مـا قالُوا

منذر : نَعـم

---

(١) قصر الصفا: أحد قصور الناصر وكان معدا للضيافة.

عبد الله : هـ ـــ لْ هِـ ـــ ن بيـ ـــ ان؟

منذر : جـ ـ ـــ ـاء الوليـ ـ ـــ ـد معـ ـ ـــ ـي

عبد الله (في دهشة) : أجئْـ
ـ ـ ـــ تَ بـ ـــ هِ؟ فأدخِلْـ ـــ ه إلينَـ ـــ ا..

(يخرج منذر)

زهـ ـــ راء لَـ ـــ ن تَشـ ـــ ي الغَـ ـــ دا
ةَ بنَـ ـــ ا، ولـ ـــ ن تُغْـ ـــ ري علَينَـ ـــ ا
هـ ـــ ذا أخُوهـ ـــ ا الواحِـ ـــ د الـ ـ ـ
ـ ـ ـــ مأمولُ محتشِـ ـــ دا لَـ ـــ دينَا

(يدخل منذر والوليد)

(يزيد اهتمام منى بالتسمع من كوتها)

عبد الله (في اهتمام وصوت خافت) : مـ ـــ اذا فعـ ـــ لـ ـــ تَ؟

الوليد : أتيتُ بالـ ـعهدِ الموكدِ والمواثِق
دفـ ـــ ع المعـ ـــ ز لـ ـــ ي الكِتـ ـــ ا ب بخطـ ـــ هِ

عبد الله (فى اهتمام) : هلْ أنتَ واثِقْ؟

الوليد : مـ ـــ ولاي فـ ـــ ي يـ ـــ دي الكِتـ ـــ ا
ب فـ ـــ إن تحـ ـــ دثَ فهـ ـــ و صـ ـــ ادِقْ

وصيف : هـ ـ ـــ ذَا إذَن حـ ـ ـــ دثُ الممـ ـ ـــ ا
لِـ ـــ كِ فـ ـــ ي المغَـ ـــ ارب والمشَـ ـــ ارقْ

عبد الله : أعلِمـ ـــ تَ مـ ـــ ا حمـ ـــ لَ الكِتَـ ـــ ا
ب إلي؟

الوليد : صـ ـ ـــ لْح عبقـ ـ ـــ ري

قـ ـد وكـ ـد العهـ ـد الوثيـ ـ ـ
ـ ـ ـيقَ لــ ـك المعــ ز الفــ اطِمِي

قـ ـ ـال الأمـ ـ ـور إذا سلِمـ ـ ـ ـ
ن، وحقـ ـقَ الأمـ ـلُ العصِـ ـي

وإنْجـ ـاب عـ ـن هـ ـذي الـ ـبلا
دِ الغَـ ـي، وانْحطَـ ـم الغَـ ـوي

فلـ ـك الـ ـبلاد وتاجهـ ـا الـ ـ ـ
ـ ـ ـوضاح والعـ ـرشُ السـ ـنِي

ولـ ـ ـك الخِلافَـ ـ ـةُ والـ ـ ـدعا
ء، وحقـ ـك الحـ ـق الجلِـ ـي

منذر : ولـ ـك الصـ ـدارةُ فـ ـي بِـ ـلا
دِ المسـ ـلمِين بـ ـلا شَـ ـريكِ

وصيف : ولـ ـك الإمامـ ـةُ فَـ ـوقَ أعـ ـ ـ
ـ ـ ـناقِ القَياصِـ ـرِ والملـ ـوكِ

(توصد منى كوتها وتختفي)

عبد الله (للوليد) : متَـ ـ ـى نَلْتَقـ ـ ـي بالصـ ـ ـحاب؟

منذر : الغَداةَ
فـ ـإن الأسـ ـاطيلَ لـ ـم تَـ ـدن بعـ ـد

ضـ ـ ـربنَا لهـ ـ ـا موعِـ ـ ـدا

عبد الله (في حذر) : فاصبروا
ولا تَعجلُـ ـوا
كُـ ـل أمـ ـرٍ معـ ـد

إذا مـــا دعينـــا ليـــوم الجهـــاد

فَســـفْن تَعِـــج وجـــيش يشُـــد

عبد الله : ومـــــــا بـــــــالُ ســـــــبتَةَ [1]؟

الوليد : أسطُولُها

لنُصرة دعوتِنَا مســتَعِد

إذا قَـــر قلْـــتَ الذُّـــرى الســـابحاتُ

وإن خَف قلـتَ علـى المـاءِ أُسـد

عبد الله : وسوســـةُ [2]؟

الوليد : تُزجِي الزحوفَ الثقَالَ

فتَحســـبها عاصِـــفًا وهـــي جنْـــد

وصيف : ومِـــن حولنـــا أُمـــةٌ لا تنَـــا

م، أو يهلـــك الظـــالِم المســـتَبِد

تـــأجج فـــي صـــدرها لاعِـــج

مـــن الحِقْـــد..

عبد الله : ألحقد في الله رشْد

الوليد : غَدا يعبـدث الله فـردا فـلا يسـ

ـــترق العبـــاد مـــع الله فَـــرد

عبد الله : رب تَـدرى مـاذا تُجِـن الصـدور

رب أنــتَ العلــيم. أنــتَ الخَبيــر

---

(١) سبتة وسوسة: ثغران بالمغرب كان الناصر قد غزاهما ثم اســتردتا اســتقلالهما ولكـن الخصومة كانت لا تزال قائمة بينهما وبين الناصر ولذلك استجابتا لدعوة المتآمرين.

(٢) نفس المرجع السابق.

رب فاشْـهدء إنّـي لِملتـك السمـ ـ

ـحةِ – ما عِشْتُ – عاضِد ونصـير

قِبلَتي أنتَ في جِهادي، وفيـك الـ ـ

ـ ـعزم ينْضـى، وعنـدك التـدبير

رب سددء خُطَاي واكْتُب لـي التـو

فيــقَ يكْتَــب لــدِيِنك التــوقير

(وصيف يرى الزهراء مقبلة فيضطرب)

منذر : مـ ـ ـ ـ ـن مقبـ ـ ـ ـ ـلٌ؟

وصيف : سـ ـ ـيدتي الزهـ ـــراء

(ثم يقول لمنذر في فزع مضحك)

خُض فـي حـديث..! خُـض كمـا تشـاء

فإنهـ ـ ـ ــا الـ ـ ـ ــذكاء، والـ ـ ـ ــدهاء

منذر : مـ ـ ــاذَا أقُـ ـ ـول؟

وصيف : فاحمــد الخلِيفَــه

واذْكُـ ـ ـ ـر لنـ ـ ـ ـا آلاءه المنيفَـ ـ ـ ـه

منذر (في حيرة) : ويحـ ـك يـ ـا شـ ـيطان فابـ ـدأ أنـ ـتَ!

وصيف (وقـد رأى الزهراء داخلة) : أحسـ ــنْتَ فيمـ ــا سـ ــقته أحسـ ــنْتَ

ذاك هـ ـو المجـ ـد إذا المجـ ـد اكْتَمـ ـلْ

وهكـ ـ ـذَا قَلْيـ ـ ـك قُـ ـ ـوام الـ ـ ـدولْ

مـ ـن قَبـ ـلَ مولاَنـ ـا أقـ ـام الأمـ ـرا

فـ ـ ــاعتَز، واسـ ـ ــتَوثَقَ، واسـ ـ ــتَقَرا

مـ ـن ذَلـ ـلَ المجـ ـد لنَـ ـا والنصـ ـرا

وداقَـ ـ ـع الجهـ ـ ــلَ ورد الفَقْـ ـ ـرا

وأطْعـ ـ ـ ـم السـ ـ ـ ـائلَ والمعتَـ ـ ـ ـ را

وأنْجـ ـ ـب الصـ ـ ـيد [1] الكـ ـ ـرام الغُـ ـ ـرا..

(تدخل الزهراء)

---

(١) الصيد: جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبرا، وهو الأسد.

المشهد العاشر

(حين تدخل الزهراء يلقي الوليد على نفسه عباءة لستر وجهه ويولي ظهره لجهة دخولها، ويقف إلــى جانبــه منذر)

عبــــد الله: زهـ ـ راء

الزهراء: مولاي الأميـر أآذِن لي في حـدِيثك خاليـــــــــــــــا؟

عبــــد الله: بــلْ فأمـري

(يشير عبد الله للجميع فيخرجون)

وصيف (للمنذر وهو يخرج): أرأيتَ عينَيها كأني قـارئٌ في ومضِ عينَيهـا نـذير المنْــــــــــــذِر

الزهراء (فــي عنف): مولاى ماذا أنــتَ حامِـلُ وزرهِ من غَدرةٍ جلــى، وأمـرٍ منْكَــــــــــــر

عدء للهدى أو أنتَ لابـس
ســـــــــــــــــبة
ونقيصـــةٍ تبقَـــى بقَـــاء
الأعصـــــــــــــــــر

عبـــد الله مـــاذا الـــذي تُلْقِينَـــــه؟

الزهراء أقَمنْكِـــر
سهلَ الهوان على الأميـــر
المنْكِـــــــــــــــــر

عبـــد الله أجننْتِ ؟

الزهراء بلْ ما جن إلا غـــــــادر
بِسِوى أبيهِ وملْكِهِ لـــم
يغْـــــــــــــــــــدر

عبـــد الله زهراء كـــاد الصبر ينفد..

الزهراء (فـي حدة) بـــلْ أجِـــــــب
سِيان بعد صبرتَ أم لـــم
تَصـــــــــــــــــبِر

خَبر نَما لي عنك قد اُبلِغْتُه

عن مـ ـؤْمنٍ

عـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ دلِ

عبـ ـد الله أطَلْتِ

فَخَبـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـري

الزهراء (فـي خطورة) قُلْ لِي من الأضيافُ فـي

قَصـ ـ ـ ـر الصـ ـ ـ ـفَا؟؟

عبـ ـد الله (في فزع) زهراء

الزهراء (فـي إصرار) مـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن هـ ـ ـ ـ ـ ـ ـم؟

عبـ ـد الله (في تهديد) يـ ـ ـا

شَـ ـ ـقِيةُ أقْصِـ ـ ـ ـري

إن عـ ـدتِ لِلْحـ ـدثِ الـ ـذي

أزمعتُـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـه

ذُقْتِ الردى بيدي محِبـ ـك

فَـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـاذْكُري

إني اشْـ ـتراني الله للأمـ ـر

الـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـذي

يرضى..

الزهراء (في تهديد) بل الشيطان ذاك المشْـــــــــــــتَرِي

خَفِْني ستَلْقَاني إذا أقْـدمتَ!

عبـــد الله (في عنف) بلْ

فانْجِي بنفْسكِ مِن سـبِيلي واحـــــــــــــــذَرِي

(ثم في صوت رقيق) أتُـــراكِ مهلكـــةً أخـــاكِ؟

الزهراء أخِي؟

عبـــد الله نَعــــــــــــــــــم

هو رأس أنْصاري وقَـيم عســـــــــــــكَرِي

(ثم يتجه إلى الباب الذي خرج منه الوليد)

أقْبِـــلْ وليد

(يدخل الوليد)

الزهراء (في خوف وغيظ) أخي أجِئْتَ؟ ألَم

تَعــــــــــــد
ألا
تعـــــــــــــــــود؟

الوليـد ومـــــا
(فـــي تَضـــيركِ عــــودِتي؟
قِحة)
الزهرا أنَسِـيتَ عفْـو خليفَـة الله
ء
الوليد ا
خْسـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـئِي
لم أنْس هون ضـراعتِي
ومـــــــــــــــــذَلِتي
ما كان عفوا ذاك بلْ كـان
الأذَى
والمن واستهزاءةَ المتَشَمتِ
الزهرا ما زادك الإحسـان غيـر
ء خَساســـــــــــــــــةٍ
والفَضـلُ يجحـده لِئـيم
المنْبـــــــــــــــــتِ
الوليد هذي ضلالتُكِ القَدِيمةُ!
الزهرا
ء (فـي نبيني
عنف)

فيمـا قَدمـتَ؟

الوليد تَلَبثـ ـى

تَتَشَبِثـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـى

الزهراء (في حدة) أأجبتَني

؟

الوليد إني قَدمتُ مجاهِدا

لأذُود عن وطَنِـي وأنقِـذَ

أُمتِـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـي

وأرد عن هـذي الخلافـةِ

عارهـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا

الزهراء الْعار ما تَطْويـه نَفْسـك

فاصـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـمتِ

الوليد أُخْتَاه إن الله يـدعونا قَـلاَ

تَثاقَلي عنْه، ولا تتنكـري

عبـد الله ستَرين عهدا للخلافةِ راشِدا

لا عهد كِسرى في الأنـامِ

وقَيصـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـر

وتَرين مولد دولةٍ عمريـةٍ

للهِ لا للْعاهِـل المتَجبـر

الزهراء (لعبد الله مشيرة) كَيفَ اهتـديتَ

إليـ ـ ـ ـ ـهِ؟

لأخيها)

عبـــد آختْ

الله بيننَـــــــــا

حرم العقيدة فـي الجهـادِ

الأكْبـــــــــــــــــر

الزهرا جللْتُما وجه الجِهادِ خزايـةً

ء (فـي

حدة)

بريء الجِهاد من الأثِـيمِ

المجتَـــــــــــــري

الوليد زهراء

الزهرا كُف

ء

الوليد ألاَ رشَـــــدتِ

فَزحزحـــــي

عن عينك الحجب الكثيفَة

تُبصِـــــــــــــري

هذِي منى خَلَفَتْكِ أو كادتْ

أ ــــــــــــــــدى

مولاَكِ

الزهرا يا لَك من كـذُوبٍ

ء مفتَـــــــــــــــر

الوليد عودي إلى حجـر الإمـاءِ

ذَليلـــــــــــــــةً

فاطْهي الطعـام وأخْبِتـي

واسـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـتَغْفري

الزهرا ء (فــي احتقار) ليس الوفاء غِلالةً تُلْقَى إذا

مولاي ضن بعطفِهِ وأساء

هو مِن مِزاجِ دمِـي يزيـد

تَوهجـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا

وترفعا إن زادني إقْصـاء

المشهد الحادي عشر

(يدخل الناصر في سرعة غاضبة، ويتقدم إلى عبد الله لا يلوي على شيء. يضـطرب عبـد الله. ويتخـاذل الوليد. وتتماسك الزهراء، ويـدخل خلـف الناصـر حراسه وخدم قصره).

الناصر أجِنِني؟ أحق

(لعبـد الله) ما نَما لـي؟

عبـد الله وما الذي

نَمـا لَـك؟

الناصر خَطْب كَالح الوجهِ مسـود

أوفْـد أمِيـر الفـاطِمِيين، هاهنَـــــــــــا؟

عبـد الله (فى اضطراب للوليد) هلكْنا

الناصر وفي قصر الصفا نَزَل الوفـــــــــــد؟!

أجنِني؟ أجـاءوا يحملـون رســــــــــائلاً

إليك، ووعدا؟ قل فما ذلك الوعــــــــــد؟

عبـــد الله أبِـي

الناصر لستَ من صلْبِي،

ولا مــــن أُميـــةٍ

وهنْتَ، فإن الأُسد أبناؤُها أُســــــد

الزهراء تَريثْ أمين اللهِ

الناصر زهــراء أمسكي

أريثٌ وأركان الخِلافَةِ تَنْهد

(ثم يلتفت إلى الوليد في ازدراء)

وربي فما في العفْوِ عن خائنٍ رشْــد

إذا كان إيثَار الكَريمِ تَفَضلاً

وحمدا فإذْلالُ اللئيم هو الحمــد

بنَينَا على هامِ الجزيرةِ دولةً

تَأشب في أعطَافِها العِلْم والمجـد

فلَما استَقرتْ، واستطالت

تراد ـــــــــــــتْ

عليها من الأهل الخيانـةُ

والحقْـــــــــــــد

(ثم يتجه لعبد الله ويقول في عنف)

تكلم عدو الله.. ما ذنب أمةٍ

إذا كنتَ لم تصلُح لأعبائها

بعـــــــــــــد

لجـأتَ لسـيفِ الأجنبـي

وجاهِـــــــــــه

علينا، وذاك الهون والخُلُق

الوغْـــــــــــد

ورمتَ بعهدِ الفاطمي خلافةً

لقد هزلتْ تلـك الخلافـةُ

والعهـــــــــــد

الزهراء هديتَ أميـر المـؤمنين.. لعلهـــــــــــا

وشـايةُ واشٍ، أو سِـعايةُ

حسـدِ ـــــــــــ

الناصر وددتُ وبيتِ الله أنّي مضللٌ

زمامي بأيدي المـرجفين

ومفْــــــــــودي

ولكن هو الحـق الـذي لا

تَشُـــــــــــــوبه
شَوائب، والبرهان زهراء
فـــــــي يـــــــدِي

الزهراء عرفْتُ من البرهان، ومـا
هـــــان قَـــــدره
وقل من الأنْباءِ ما لم يفَندِ

الناصر (في حدة) أإثم وإغْراء علـى الإثْـم
فاصـــــــــــــمِتي

الزهراء هداك الكريم العدلُ للعدل
ســــــــــــيدي
غَضبتَ فلَم تَسمع، ويا رب
حجـــــــــــــــةٍ
هدتْك إلى الرأي الرشـيد
المســـــــــــــــدِ

الناصر صبرت على أشياء منـك
مريبـــــــــــــةٍ
وقلتُ فرد الشـك بـالحلْم
يـــــــــــــردِ

الزهراء (في حسرة) أشَـك؟ أظَـن
بـــــــي؟

الناصر (في أما كُنْتِ

سخرية) ملْجـ ـ ـ ـــأً

أمينًا لهذَا الغَادر المتمـ ـردِ

أما كان يلْقَى مِنْكِ عطفًـ ـا؟

ألـ ـ ـ ـ ـ ـــم يفُـ ـ ـ ـ ـ ـ ـز

بودك مخْضلا؟ ألَم يتَزيـ ـدِ

الزهراء (فـ ـ ـــي إجهاشة) برئتُ أمين الله مما رميتِني

بِهِ

عبـ ـ ـد الله وظَلَمتَ الفَضلَ والخُلق

النضـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـــرا

فلم تَكُ إلا نعمةَ الله صاغَها

تَعالي كما صاغ الكرامـ ـةَ

والطهـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـرا

الناصر صه يا عـ ـدو الله، دفْعـ ـك

تُهمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـــةٌ

فَلا تُذْكِ شَكا واغِرا طَبقَ

الصـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـــدرا

غلام ابغِ لي

الثـ ـ ـ ـوار..

منجد مـ ـ ـولاي

طاعـ ـ ـ ـةً..

(ويخرج)

الناصر (لعبـــد الله فـــي ضـــعف يسير) أعذْرا؟

عبـــد الله فلاَ والله لا أخْلُقُ العــذْرا

فَما كان عن عَيٍ ولا عــن جهالـــــــــــــــــةٍ جِهادِي

الناصر نَطَقْتَ الإثْم، والهجر، والكُفْـــــــــــــــرا

(يدخل منجد وخلفه الثوار تحت حراسة الجنــد وهــم منـــــــــــــــذر وابـــــــــــــــن عبد ووصيف وكذلك يدخل وفد الفاطميين).

(مستطرداً) أرســلَ المعــز الفــاطمي تَقـــــــــــــــدموا

(يتقدمون بين يديه)

إلَيــنَا

أحدهم حباك العمــر مــولاك والنصـــــــــــــــرا

الناصر جنَى ملْكُكُم شَرا بهذا الذي

رمـــــــــــى

إلَيه، ويجني الشـر مـن

يـــــزرع الشـــــرا

أيرضِي المعز الأمر يخْرج

مـــــن يـــــدي

ليخْلُفَنا الإفْرنْج في ملْكِنـا

قَســـــــــــــــــــرا

إذا ما تَنازعنَا شُعوبا وقادةً

- وفينَا كتَاب اللهِ – ذُقْنـا

الـــــردى طُـــــرا

وإن لَم نُجاهِد جبهةً عربيةً

موحدةً كُنا لأعدائِنَا جزرا

أرسلَ المعـز الفـاطمي..

أقَلْـــــــــــــتُكُم

الرسل أُجِرتَ

الناصر كَذَبتُم إن في قَـتْلِكُم

أجـــــــــــــــرا

فحلـوا وثَـاقَ الفـاطميين

يـــــــــــــذْهبوا

ورب يدٍ تسـتَعِيد الماجِـد

الحـــــــــــــرا

(ثم يتقدم إلى الثوار وابنه في وسطهم بخطوات وئيـدة ويقول في صوت رهيب).

وأنتُم فعـار الـدهر أنـتم
جمعتُمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـو

إلى الهون والإثْمِ الخِيانَـةَ
والْغَـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـــدرا

خُذُوهم فَغُلـوهم وسـوموا
كـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـرامهم

هوانًا فقـد أزمعـتُ فـي
شـ ـ ـ ـأنِهم أمـ ـ ـ ـرا

ستـ ـ ـار

الفصل الثالث

المشهد الأول

"قصر الناصر بغرناطة"

(يرفع الستار عن بهو كبير فخم ذي أعمدة رخامية محلى بالنقوش الأندلسية المثبتـة علـى أقـواس البناء.. يطل هذا البهو على ممرات رخامية تنتهي بحديقة القصر ذات النوافير الشهيرة).

(تدخل شفق ومنى معا)

منى : قـد بلغْنـا غِرناطـةً منـذُ يـومين
شفق : فماذا وجدتِ
منى : عِـزا مجِيـلا
وتُراثًـا مـن الجمـال محـاه
هـؤلاءِ الأعـراب إلاّ قليـلا
وسنى طبـقَ الـدنَا وهـي نَصـرا
نِيـةُ المجـدِ فاسـتحالَ أُفُـولا
شفق (مداعبة) : بعض هذا؛ فإنه الكُـره يغْـري الْـ
ـعين حتى ترى الصحيح عليلا
منى : حـدثيني فـيم القـدوم لِغِرنَـا
طـةَ، إنـي أُحِـس أمـرا جليلا
شفق : إنهـا صحـةُ الخليفـةِ تَـذْوي،
قَرأى، فـانْتَقَى المصـيفَ الجمِـيلا
قَد يصيب الشـفاء فيـهِ، وقَـد يـد

فـع عنـه التبـديلُ همـا دخِـيلا

ذاك مـا قِيـلَ!!

منى : إنـه الكـذِب السـا

خِـر أُخْتَـاه، فنبْـذِي مـا قِـيلاَ

إن أمـرا مسـتَعظَما أقْبـلَ النـا

صِر يمضِـهِ هـا هنَـا فَاسـمعِيني

إن هذا الغُموض والحـرص والتمـ

ـويه سِـتْر لِسِـرِهِ المكْنـون

فـي غَـدس تَعـرفين أي خَطيـرٍ

جاء يخْفِيـهِ عـن عيـون العيـون

شفق : أكبـر الظـن أن ظَنـكِ يـا أخْـ

ـتاه فيمـا رأيـتِ لَـيس يـواهِم

تَحتَ أبصـارِنَا العظَـائِم فـي غِـر

ناطَـة اليـوم والأمـور الجسـائِم

منى : إن أصـابتْ فِراسـتي فهـي حـرب

أوشكَتْ تَصـطَلِي لَظَاهـا القَـواطِم

إن هـذَا الـذي تُسـمونَه النـا

صِر ضرب مـن الطغـاةِ الأراقِـم

كيف ينْسى – وهو المسيطِر ذو السلْ

ـطان – جرحا أُذيقَه وهـو راغِـم

يـوم شَـق ابنُـه العصـا فأعـانُو

ه، ومنـوه بـالوعودِ العقَـائِم

هاجهـــا فِتنـــةً كعاصـــفةٍ البحـــ ـ

ـر، فأودى في موجِهـا المـتلاطِم

شفق : أنـــتِ التـــي أشْـــعلْتِ نـــار الفتْنَـــه

وسوســـتِ للشـــيخ فحـــارب ابنَـــه

فَظَـــل يســـقَى محنَـــةً فَمِحنَـــه

منى : وا أســـفا للِفتْنَـــةِ العرجـــاءِ

لـــو صـــلُحت لِلوقْـــدِ والإذْكـــاءِ

ملأتُهـــا بِالـــدمِ والأشْـــلاءِ

فانطَلَقَـــتْ تَفْهـــقُ بالفَنَـــاءِ

فَخِـــين خـــاب فـــيهم رجـــائِي

أدلَيـــتُ للناصـــر بالأنْبـــاءِ

وقُلْـــتُ: إن يـــنْج مِـــن البأســـاءِ

يـــذُقْ إذَن خِيانَـــةَ الأبنَـــاءِ

فـــأدرك الثـــأرعلى أجـــزاءِ

شفق (في كآبة وحزن) : لَهفَ نفسِي على شـبابِك عبـد اللـ ـ

ـهِ ألْوى بِهِ الـردى غيـر راحِـم

لَهفَ نفْسي على إهابِـك عبـد اللـ ـ

ـــهِ تَنْتَاشُـــه القنـــا والصـــوارم

لَهفَ نفسي عليـك تـدفن لـم يتْـ ـ

ـبعك باكٍ ولـم يسـجك رائِـم (١)

منى (في إنكار) : أبكـــاء علـــى عـــدو؟

---

(١) الرائم: العاطف.

شفق : هــ ـداكِ اللـ ـ ـ

ـ ــه فــ ـالموتُ ِللعــ ـداوةِ حاســ ـم

أي جـ ـرمٍ جنـ ـى علَـ ـيكُم؟

منى (في حقد) : أبـ ـ ـ ـوه

من جنَى.. فهـ ـو آثـ ـم وابـ ـن آثـ ـم

يحمِـ ـلُ الشـ ـيخُ ثُكْلَـ ـه بـ ـاكِي القَلْـ ـ

ـ ـبِ، ويبدي للنـ ـاس سـ ـلوةَ نـ ـاعِم

لَيتَه استشعر الندامة.. أضـ ـرى النـ ـ

ـ ـار مـ ـا سـ ـعرتْ بأضـ ـلاعِ نـ ـادِم

شفق : أي حِقْـ ـدٍ تَطْـ ـوين أختــ ـاه

منى : حقْـ ـ ـ ـ ـ ـد

كلمـ ـا كـ ـرت الليـ ـالي اسـ ـتطارا

فـ ـإذَا زادنـ ـي إليـ ـهِ اقترابـ ـا

زاد مقْتِـ ـي ضـ ـراوةً واسـ ـتِعارا

شفق : أنا إن كُنْـ ـتُ قـ ـد أطَعتُـ ـكِ فاستَمـ ـ

ـ ـسكْتُ بـ ـالعروةِ التـ ـي أحكمـ ـتِ

وَوفـ ـائِي لَهـ ـم وطيـ ـد الأواخـ ـ

ـ ـي، وحبـ ـي لِبيـ ـتِهم مـ ـا علِمـ ـتِ

منى : أي روح خَبيثـ ـةٍ تلـ ـك؟ هـ ـل لـ ـم

تَقْطَعِي العهد لـ ـي؟ أمـ ـا أقْسـ ـمتِ؟

شفق : لا تُراعي فمـ ـا حنَثْـ ـتُ، ولا ضيـ ـ

ـ ـعتُ عهدا لمجـ ـدِ قَـ ـومِي قَطَعتُـ ـه

غير أنـي لَبيـتُ – داميـةَ النفْـ ـ
ـ ـس – دعـاء كرهتُـه وأطَعتُـه
وطَني... فـي سـبيل بعثـك حيـا
ازدريـ ـتُ السـ ـبيلَ ثـ ـم تَبعتُـ ـه

المشهد الثاني

منى : تغْريد

تغريد : سيدتي الحسناء

منى : هـ ــلْ نبـ ــأ

تغريد : أجـــلْ فعِنـــدي أنبـــاء وأنبـــاء

منى : هاتِي الخطير الذي تُخْشَـى عواقبـه
إذا تَرادفَـ ــه ريـ ــثٌ وإرجـ ــاء

تغريد : مـولاتِي الْبشْـرياتُ الغُـر أحمِلُهـا
فَرسـلُ قَومِـكِ...

منى (فى لهفة) : هل جاءوا؟

تغريد : لقد جاءوا

منى : متـــى أراهـــم؟

تغريد : مـ ــري يلْقَـ ــوكِ.. إنـ ــكِ فـ ــي
هذي الـديار لَهـم هـدي وإيحـاء

منى : ألْقَتْ بِهـم أُمـةُ مـرزوءةٌ فَمضـوا
ينَـافِحون كِرامـا عـن مطَالِبهـا

(بعد برهة تفكير) وهلْ علمتِ عن الزهراءِ مـن خَبـرٍ

تغريد : قالوا دعاهـا فَلَبـتْ فـي مواكِبهـا

منى (في حقد) : أجلْ دعاهـا..

تغريد : فَمـ ــن أنْبـ ــاكِ؟

منى : جاريةٌ

لي قد رصدتُ وأخْرى من صواحِبها

تغريد : ماذا؟ أألضفَى عليهـا العفْـو سـيدها؟

منى : أجلْ وبرأهـا مـن بغْـي صـاحِبها

شفق (لمنى) : بالَغْتِ فـي صـرفهِ عنْهـا بمخْتَلـقٍ

من الحـديثِ رماهـا فـي مناكِبهـا

فعاد مـا كـان مـن علْيـا منَاقِبهـا

عند الخليفـةِ ضـربا مـن مثَالِبهـا

منى (في ثقة) : تَعلمِــي فبلــوغُ الــنجح منزلــةٌ

ليس التكرم شـرطًا فـي مواثِبهـا

من هـم بالغايـة القُصـوى لِيبلُغَهـا

لم يلْقِ بـالاً لَشـيءٍ مـن عواقِبهـا

ومن أراد عظِيماتِ الأمـور مضـى

فلـم يهلْـه الْتِـواء فـي مـذَاهِبها

(ثم تقول لتغريد) قُومي خذيني لهـم أبحـثْ مهمـتَهم

وأبذُل الرأي فـي شـتى جوانِبهـا

لَسنَا بناتَ الْغَطـاريفِ التـي نَسـلَتْ

نافار إن لَـم نُجاهِـد دون واجِبهـا

(تتهيأ منى وتغريد للخروج)

(ثم تقول لشفق وقد لمحت الحكم قادما من بعيد)

هذا أميركِ. أذْكِـي الوجـد محتَـدِما

في نفْسِه، ثم غُوصِي في مسـارِبِها

عساكِ كاشِفَةَ السـر الـذي حجبـتْ

وأودعتْــه مصــونًا فــي غَياهِبِهــا

(تخرجان ويدخل الحكم)

المشهد الثالث

الحكم : أأنـ ـ ـتِ هنـ ـا؟ فنعـ ـيم الحيـ ـا
ةِ هنَـ ـا، وسـ ـنَاها، وإشْـ ـراقُها

شفق : فُـ ـديتَ أتَـ ـذْكُر نُعمـ ـى الحيـ ـا
ةِ، وكيـ ـفَ؟ ومـ ـا أنـ ـتَ ذواقُهـ ـا

لقد هـ ـدك الحـ ـزن حتـ ـى ضويـ ـ
ـ ـتَ، وقـ ـرح نَفْسـ ـك إشْـ ـفَاقُها

فهـ ـون عليـ ـك، فهـ ـذي الحيـ ـا
ةُ وشِـ ـيكا سـ ـتَنْفَض أسـ ـواقُها

وتَسـ ـ ـود كـ ـ ـالظلْمِ آفاقُهـ ـ ـا
ويأسـ ـن كـ ـالهجر روْراقُهـ ـا

هـ ـي الأرض تَسـ ـتَقبلُ الهـ ـالِكين
وخَيـ ـر المواكِـ ـب سـ ـباقُها

سـ ـ ـنين شـ ـ ـبابِك لا تُبِلهـ ـ ـا
فتـ ـذوي وتـ ـذبلَ أوراقُهـ ـا

الحكم : شَـ ـقِيقَةَ روحـ ـي ابـ ـردي جرحهـ ـا
فأنـ ـ ـتِ شِـ ـ ـفَاها وتِرياقُهـ ـ ـا

تَبيـ ـتُ تَحِـ ـن إلـ ـى ذاهـ ـبٍ
فَتَنْهـ ـ ـقُ بالـ ـ ـدمع آماقُهـ ـ ـا

أخِـ ـي.. وفـ ـداء أخِـ ـي فـ ـي الرجـ ـا
ل، عيـ ـون الرجـ ـال وأعناقُهـ ـا

رمتْــه يــد... كيــدِ الراشــدين

مِــن الفضــل والمجــدِ إنفاقُهــا

وقــالوا: أتَبكــي علــى خــارجٍ!

فَقُلْـ ـتُ: النفـ ـوس وأعلاقُهـ ـا

وقــالوا: أتَبكــي أثيمــا! فَقُلْــتُ:

ونَفْسـ ـي تَسـ ـاقَطُ أرماقُهـ ـا [1]

(يمسك بها في إجهاشة)

إذا لَـ ـم أذُب إثْـ ـره حسـ ـرةً

فـ ـأين الـ ـدماء ومِيثاقُهـ ـا

شفق : يا عِدلَ نَفْسـي أتَبكـي؟ أي سـاعِرةٍ

من اللواعج قد أيقَظْتَ فـي كبـدي

أساك قد حـز فـي قَلْبـي وأسـلَمني

تَحتَ الدجى للأسى والبـث والسـهدِ

أبيــتُ تُــدنِيك آمــالي وعــاطِفَتي

إلي حتـى لكـادتْ تَحتَويـك يـدي

وأُصبِح الصبح أنأى عنـك صـابِرةً

ملتْاعةَ الروحِ بين الضعفِ والجلَـد

الحكم : يا منْيةَ الـنفسِ قـد أدركتُـه أمـلاً

رفتْ له الـنفس أعوامـا وأعوامـا

رحمِتي حين كاد اليأس يعصِفُ بـي

فَذُقتُ عطفَكِ طلْـقَ الوجـهِ بسـاما

---

(١) أرماق: جمع رمق وهو ما بقي في الحياة.

يا نفحةَ الخُلد مسـتْ عِنـد كـوثَرِهِ
أذيالُها العبـقَ القُدسِـي والجامـا [1]

أذْكيتِ في القلْبِ وقْدا قد سـموتِ بـه
فكــان حبــا وتَقْديســا وإعظامــا

لو لم تكوني – فدتْكِ النفس - غانيـة
لكنــتِ عتْبــا وأشــواقًا وأحلامــا

وكُنْــتِ تســبيحةً للــروح هامِســةً
زكــتْ نشــيدا وإيقاعــا، وأنْغَامــا

وكالصبا الغض لو دامـت نضـارتُه
وكـــالهوى لـــذ آمـــالاً وآلامـــا

شفق : وأنتَ لَـو لـم تكُـن قَـوام مملكـةٍ
لكنتَ فـوق قلـوبِ الغيـدِ قَوامـا

ترنـو فَتُلْهبهــا وجــدا، وتَســعرها
وقــدا، فَتَفْهــقُ أوجــالاً وأســقاما

فـلا اللواهِـثُ مِـن دقاتِهـا هـدأتْ
ولا الذي نج [2] من أجراحِها الْتَامـا

وكنْتَ أرفَع مـا ازدان الوجـود بِـه
وحيا من الخُلُـق الأسـمى وإلهامـا

(يحتضنها فتتداعى بين يديه)

الحكم : وكنتِ ومضةَ عطْـفٍ كللَـتْ شـفَةً

---

(١) الجام: إناء من الفضة والمقصود ما به وهو الخمر عادة.

(٢) نج: أي: سال.

تُساقِطُ العطْـفَ تَهطـالاً وتَسـجاما

وكنتِ في الـروضِ أنـداء معطـرةً

قَبلْنَـه، فـازدهى نَـورا وأكْمامـا

وكنتِ في أُمسياتِ الوصل ما اختُلستْ

راحا، ونَجوى، وأمواهـا، وأنْسـاما

(تدخل فوز فيصحوان من نشوتيهما)

فوز : مـولاي، مولانَـا الخليفـة مرسِـلٌ

لَـك صـاعِدا يـدعوك أن تَلقـاه

فـإذا رأيـتَ أجبـت

الحكم : نَبـي صـاعدا

أنـي سأسـبِقُه إلـى مـولاه

(تخرج فوز فيتجه الحكم إلى شفق في ضراعة وإكبار)

شفقُ اذكريني في صـلاتِكِ واسـألي

لِفَتَـاكِ تَوفيقًـا، وحسـن بـلاء

وقِدِي بنفْسي كل مـا ازدحمـتْ بـهِ

مـن نُهيـةٍ، وعزيمـةٍ، ومضـاءِ

شـفقُ ابعثينـي لِلْعظَـائم أعتْسـفْ

أهوالَهـا، وتَنظـري أنْبـائي

شفق (في عاطفة) : أفديك.. مـاذا أنْـتَ حامـلُ عِبئـه؟

الحكم : شفقُ احفظي عهدي تَهـن أعبـائي

شفق : هلْ من جديدٍ جد؟ هل حدثٌ مـن الأ

حـداثِ، أو رزء مـن الأرزاءِ؟

الحكم : لا تَجزعي شـفقُ الحفيـةُ بـي، ولا تَهِني

شفق : فـأنِبْئِني... أطلْــتَ عنَــائي

الحكم : تـدرين مـا فعـلَ الخليفـةُ بـالألى

ســاقُوا أخِــي للخُطــةِ العوجــاءِ

شفق : أعنَيـ ـ ـتَ أوغَـ ـ ـاد المعـ ـ ـز؟؟

الحكم : أجلْ

شفق : لَقَـ ـ ـد

ظَفـ ـروا هنَــا بـالعفْو والإغْضــاءِ

الحكم : ومضــوا بأعينِنــا وفَــوقَ ســفيننا

للقيـ ـروان كـ ـأكْرمِ السـ ـفَراءِ..

فَلْنَــا قَــرب وشَــائجٍ [1] قُرشــيةٍ

كرمــتْ بتلْــك المِنــةِ البيضــاءِ

فمضـوا علــى غُلَـوائِهم وعـدائِهم

والفضــلُ يـوقظُ خِســةَ اللؤَمــاءِ

هـــذِي دعـــاتُهم تؤلـــب حولنَـــا

أُممـــا مـــن الأخصـــامِ والأعـــداءِ

يتَشَـــفعون لهـــم بحِقْـــدٍ ســـاعِرٍ

هاجتْـــه ســـموتُنا إلـــى العليـــاءِ

وعلمـتِ كيـفَ أصـابنا أسـطولهم

---

(١) وشائج: جمع وشيجة بمعنى الرابطة.

بمياهنـــا فـــي غـــرةٍ [1] نكْـــراءِ

قد آن أن تَزوي [2] القشـاعِم حِلْمهـا

وتَشُـــد شـــد العاصـــفِ الْهوجـــاءِ

الحِلْـــم يحســـبه الضـــعافُ تَهيبـــا

مـــا أكْلَـــب الضـــعفَاء بالحلمـــاءِ!

شفق (في ذهول) : أفتنفـرون لهـم؟

الحكم : كآســادِ الشّــرى

ركِبــتْ لمطعمِهــا متُــون المــاءِ

شفق (في حيرة) : ومتى؟ وأنى؟

الحكم : هـلْ جزعــتِ؟ تَماســكِي

سيكُون حبــكِ جنتِــي [3] ووقــائِي

شفق : مـــاذا ســـمعتُ؟ أنـــافِر فَمقَاتِــلٌ؟

الحكم : عقِد الغَداةَ علــى الزحــوف لِــوائِي

شفق (في تردد) : ومتى الشخُوص؟ ومن تخذتَ بِطَانــةً

مِـــن جِلـــةِ القُـــوادِ والـــوزراءِ

قَري ســألْقَى الآن فــي هــذا أبِــي

فــإذا أردتِ عرفــتِ بعـــد لِقـــائي

(يودعها ويخرج)

شفق : ما لِــي تُســاورني هــواجِس جمــةٌ

---

(١) غرة: الغرة بكسر الغين الفجأة.

(٢) تبعد.

(٣) الجنة: بضم الجيم ما يحتمى به.

أُغْرين بـي حتـى ملَكْـن قِيـادِي

أمسـيتُ للقَلَـق المبيـدِ فَريسـةً

كـالظبي بـين براثن الآسـادِ..

يتَسابقُ الرأيـان فـي رأسـي كمـا

تتسـابقُ الأجيـاد [1] يـوم طِـرادِ

ما لِي إذا الحكَم الْتَقَيـتُ بـهِ وهـى

جلَدِي، وجـاذَبني السـهاد وسـادِي

وإذا سـمِعتُ حديثَـه حـارتْ عـرى

نفْسي، ورفْرفَ في الضلوع فُـؤادِي

(في ثورة هائجة) أأحبه؟! كلا!! فهـلْ أهـوى أخِـي؟!

كلَا!! وهـلْ أهـوى عـدو بـلادِي

يـا رب أوزعنـي [2] أُؤَد رسـالَتِي

وإلـى رحابِـك بعـد ذاك معـادِي

---

(١) الأجياد والجياد: جمع جواد.

(٢) أوزعني: ألهمني.

المشهد الرابع

(تدخل منى)

منى : لَـم أسـتَطِع لُقْيـا الرسـولْ

شفق : لِـم؟

منى : فـالعيون هنَـا تَحـولْ

أوفـدتُ تغريـدا لِكَـي   تـأتِي بـهِ.. فكـذا تَقُـولْ

شفق (في خوف) : تَأتِي بِه؟!

منى : لا تَجزعِـي   فـالبهو مـأمون السـبيلْ

وعلـى مشـارفِه ثِقَـا   تُـكِ، لا تمـل ولا تَميـلْ

والقَوم غَرقَى فـي أحـا   ديـثٍ وأحـداثٍ تَطُـولْ

(تظهر تغريد من بعيد)

شفق : ها أقْبلَـت تغريـد

(تدخل تغريد)

تغريـد العزيـزةُ مـا وراكِ؟

تغريد : أحضـرتُه فاسـتَقبليهِ فَقَـد تَلَهـفَ أن يـراكِ

(لشفق وقد لاحظت تغير وجهها)

قري فلَم تَفْطـن إليـ   ـهِ هنَا العيون ولا هنـاكِ

(تذهب إلى الباب في خفة)

منى : ادخلْ

(يدخل الرسول وتخرج تغريد)

الرسول : سـلام الله مـو   لاتـي وروان المسـيح

وتحيـةٌ مشـفوعةٌ   بـولاءِ نافـار الجـريح

منى : هاتِ الحديثَ فليس فـي أوقاتنـا فَضْـلٌ نُضِيعه

الرسول : قَمري أفُـلْ

منى : كيفَ الجها
د هناك؟

الرسول : باسِقةٌ فروعـه

منى : والشعب؟

الرسول : للحريةِ الـ ـغراءِ والعلْيـا نُزوعـه
يترقب اليـوم العظيـ ـم

منى : لقد دنَا وبـدا صديعه (١)
قُلْ لي أوقعتُم على الـ ـعهدِ الجديدِ؟

الرسول : أَجلْ فَعلْنَـا
لمـا عـدلْتِ عـن النضـا
ل، وملْـتِ للحسـنَى عـدلْنَا
أرسـلْتِ أن نَطْـوي الضـلو
ع علـى المهانـةِ فامتثلْنَـا

منى : أظَنَنْتُمـو أنـي ضللْـ
ـتُ، فـإن بعـض الظـن إثـم
الـرأي إن لـم يتْبـعِ الأ
حـداثَ فالإخْفـاقُ حـتْم
لـيس الكرامـةُ فـي الثبـا

---

(١) صديعه: صباحه.

تِ عليـــه، والتغييـــر حـــزم [1]

(في اعتداد) اعلْـــــم... لكـــــل فُجـــاءةٍ

منْحـــى يوائمهـــا وحكْـــم

لمـــا رأيـــتُ الناصـــر انْصـــ

(مستطردة) ـــدعتْ بأنْـــدلُسٍ صـــفاتُه

ورأيــــتُ عِتْرتَــــه تُنَــــا

صِـــبه، وتختُلُـــه [2] ثقاتُـــه [3]

وشـــهدتُ أحـــداثَ ابنـــه

أيقنـــتُ أن حطِمـــتْ قنَاتُـــه

قلـــت انْقُضـــوا عهـــدا الهـــوا

ن فنقضـــه فـــي الله حـــق

عهـــد الضـــعيفِ لِقاهريـــ

ـــةِ وإن ترفـــع فهـــو رق

الرسول : تـــدبير كيســةٍ تَـــرى ما لا يـــراه الملهمونـــا

منى (فى حقد) : ثم استَطَالَ على العصـا ةِ، وذَبـــح المتآمرينـــا

ثم اســتقر الأمــر فــي أقْطَـــاره وجـــرى يمينـــا

فنصحتُ بالإذْعـان

الرسول : فانْـ ـصعنا وجئْنَـا خاضـعينا

منى : صبر الكرامِ فقد يجـي ء غَـــد بمـــا لا تعلمونـــا

---

(١) المقصود حين يكون التغيير حزما.

(٢) تخدعه.

(٣) أهله وعشيرته.

(للرسول كأنما تنبهت) أين الوثائِقُ؟

الرسول (في شيء من الاعتراض) : ســ ــ ــلمتْ لَهــ ــم الغَــ ــداةَ فَوثقُوهــ ــا

كانَت معاهــ ـدةَ المذلــ ــةِ والمهانةِ

منى (فى صوت أجش) : فاقبُلُوهــ ــ ــ ــا

الرسول : فَرضوا علينَا أن نَــ ـدك حصونَنَا

منى : لَــ ــن تَهــ ــدِموها

الرسول : أكذا تَرين؟

منى : أجــ ـلْ ومــ ـن جعلَ ابنَه رمــ ـز الفِـ ـداءِ؟!

فَوقَ الجبابِر مــ ـن طُغــ ـا ةِ الأرض جبــ ـار الســ ـماءِ

شفق : هــ ـلْ تَــ ـأذنين لَــ ـه فَقَــ ـد طالَــ ـتْ إقامتُــ ـه لَــ ـدينا...

منى (للرسول) : اذهب وقَد نَدعوك لــ ــ ــلأمر الجليــ ـل إذا رأينَــ ـا

(يخرج الرسول بعد أن تتحقق منى من خلو الطريق)

شفقُ اســ ـمعي إن

الحوادِثَ أوشَــ ـكَتْ

(

أن تَنْتَهـ ـ ـ ـ ـ ـي
لقرارها.. شَـ فَقُ
اسـ ـ ـ ـ ـ ـ ـمعي

إني لألمح أن ثَمـ ـةَ
وقعـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـةً

للعاهِلَين وشِـ ـيكةَ
المتَوقـ ـ ـ ـ ـ ـ ـعِ

ستَرين هذا البحـ ـر
يفْهـ ـ ـقُ موجـ ـ ـه

بالسـ ـ ـ ـ ـابِحاتِ،
وبالرماحِ الشـ ـرع

أدري...
س
و
ق
م
ن
؟
س
و
ق

ومن أنْباكِ؟

أنْبـ ـ ـأني الـ ـ ـ ـذي

س
ي
وُ

و

د

ه

ز

ا

ا

ل

ج

ي

شَ

ه ا

ف ،

؟

ٲ

(ٲ

ف

ع ي

ٲ

د

ه ب

ش ي

ة ؛

و

إ

ف

ك

ا

ر

)

هـــل

سألتِ!

؟

س وَ

ف ر

ق د

دِ

ي

ما دار من هـذَا
الحديثِ وأسرعِي

ما قال إلا أنه فـي
جنْـــــــــدِهِ

وسفينه ماضٍ ليومٍ
مفْــــــــزعِ

لِم
ن
الم
ضِ
ي
أَل
لْم
ع
ز

أجلْ!

متَى؟

ة ل
مـ م
فـ
ق
يـ
نْ
بِ

هـ
فاحتَشِــدى لـــه
نـ
واســـــتَجمِعى
ة

كاد الغريقُ يمـس
شَــــط نجاتِــــه

لم يبقَ إلا بعـض
قِيــدِ الإصـــبع

عودِي إليه فماكِريه
وصــــانِعي

فإذا ملكْتِ زمامه
فتصـــنعي

فـــإذا تخـــاذَلَ
فاضربِي، وتمكني،

وإذا تحرز عاودِيه
وأزمِعـــي

لابد مـن عِرفـان

خُطــةِ زحفِــهِ،

ومكــان وثْبِتــه،

وســاعةِ ظَعنِــهِ

وكمِ الجيوشُ، ومن

بطانتُــه ومِــن

أي الثغور يسـيلُ

موكِــب سـفْنِهِ

وتَلمسي أخباره في

عينِـــــــهِ

وتحسسي أسراره

فــي حِضـنِهِ

فإذا بلغْتِ تفرغَتْ

نافــار فــي

بحبوحةِ المجـدِ

الصـميمِ وركنْـهِ

(تدخل تغريد)

هذا ولـي العهـد جـا ء

فمرحبــا بقدومِــهِ

تغريد : ما بالُه يزهـى كأبــ ـطال الـوغَى وقُرومِـهِ

منى (في استهزاء) : فــي كُمــةٍ وعبــاءةٍ موســومةٍ بوســومِهِ

المشهد الخامس

الحكم : أي أُفْـقٍ ضـم فيمـا ضـم هـذي النيـراتْ

أي روضٍ كـرم اللـ ـه بتلـك الزهـراتْ

منى (ضاحكة) : ليس لي من عطْـفِ مـولا ي وإن عـم نَصـيب

الحكم : كيفَ هذا؟

منى : إنهـا نَجـ ـوى حبيـبٍ لحبيـب

الحكم : جئـتُ فـي أمـرٍ أراه أخطر الأمر

شفق : فَهـاتِ

منى : أكرم الأخلاقِ أن نُخْـ ـلِي بهـو الصـبواتِ

ثالـثُ الإلْفَـينِ!!

تغريد (ضاحكة) : والـرا بـع شَـر النكبـاتِ

(يتضاحك الجميع)

الحكم : أي منَى الحسناء

منى : مر يا أكرم النـاس جـودا

الحكم : أقْبِلـي بعـد خُروجـي تَعرفـي السـر السـعيدا

(يأخذ الحكم بشفق إلى ناحية المسرح)

(شفق تتبعه في حيرة)

تغريد : (لمنى في صوت رهيب وهما خارجتان)

وضح الخفاء فَقـد أرى حـدثًا يهـم ويسـتعِد

شـفقٌ تُحـب أميرهـا

منى : أدري

تغريد : إذن فالخطـب جِـد

منى : تهــواه مــلء فُؤَادِهــا لكنهــا لــم تــدر بعــد

فإذا صحت كان القضــا ء جرى فلــيس لــه مــرد

(تخرجان)

المشهد الخامس

الحكم : أي أُفْــقٍ ضــم فيمــا ضــم هــذى النيــراتْ
أي روضٍ كــرم اللـــ ــه بتلــك الزهــراتْ

منى (ضاحكة) : ليس لي من عطْـفِ مـولا ي وإن عـم نَصـيب

الحكم : كيفَ هذا؟

منى : إنهــا نَجــ ــوى حبيــبٍ لحبيــب

الحكم : جئـتُ فـي أمـرٍ أراه أخطر الأمر

شفق : فَهـاتِ

منى : أكرم الأخلاقِ أن نُخْـ ــلِي بهــو الصــبواتِ
ثالـثُ الإلْفَـين!!

تغريد (ضاحكة) : والــرا بــع شَــر النكبــاتِ

(يتضاحك الجميع)

الحكم : أي منَى الحسناء

منى : مر يا أكــرم النــاسِ جــودا

الحكم : أقْبِلـي بعـد خُروجـي تَعرفــي الســر الســعيدا

(يأخذ الحكم بشفق إلى ناحية المسرح)

(شفق تتبعه في حيرة)

تغريد : (لمنى في صوت رهيب وهما خارجتان)

وضح الخفاء فَقـد أرى حــدثًا يهــم ويســتعِد
شــفقٌ تُحــب أميرهــا

منى : أدري

تغريد : إذن فالخطــب جِــد

منى : تهـواه مـلء فُؤَادِهـا لكنهـا لـم تـدرِ بعـد
فإذا صحت كان القضـا ء جرى فلـيس لـه مـرد

(تخرجان)

غدا تَترامى شُقةُ
البعـ ـدِ بينَنـ ـا

وأي عذَابٍ الله
أقْسى مِن البعدِ

غـ ـدا تحمـ ـلُ
الأمواه رحلـي
مجاهِـ ـ ـ ـدا

فتنهـل عـن
دمعي، وتهتاج
عـن وجـدِي

غدا يتَنزى القلب
كالسفْن أرقَلـتْ
(١)

علـ ـى مـ ـتْنِ
رجـافٍ مـن
المـوجِ محتَـد

(١) أرقلت: أسرعت.

غـــدا تَنْطَـــوي
نَفْسي على كُـــل
ســـــــــــــاعِرِ

دوٍ [1] مـــــــن
عقابيـــــل [2]
الصبابةِ والجهدِ

غدا لا يرانـــي
الليلُ إلا مـــدلها

قليـــلَ قـــرارِ
الجنْبِ، متصلَ
الســـــــــهدِ

إذا وقَعاتُ الدهرِ
أبلَـــين جِـــدتي

سلِمتِ فلْن يبلَى
وفـــــــائي ولا
عهـــــــــدي

مواثيـــقُ مِـــن
أعمـــاقِ نَفْســـي
قطعتُهـــــــــا

(١) دو: شديد.
(٢) عقابيل: أعقاب، آثار.

وأنتِ؟ فمـاذا
أنْـتِ صـانعةٌ
بعـ ـ ـ ـــ دي؟

سـلمتَ علــى
الأيام من كُـل
حـ ـ ـ ـ ــادثٍ

ولا زِلْتَ ربان
الفتوةِ والحمـدِ

وعشـ ـتَ لهــ ذا
الملْـــكِ تُعلـــي
مكانَـ ـ ـ ـ ـــه

علـى تَلّعـاتِ
الطول والعِـز
والمجـ ـ ـ ـــدِ

يظِل سواد الناس
جاهــك فارِعــا

ويبقى – شـقيقَ
النفسِ – قلْبك لـي
وحـ ـ ـ ـ ـــدي

أُحبك ألوانًا من
الحــب تَنْتَمِــي

وإن كثـ ـــرتْ
ألوانُها لأيٍ فَردِ

لِلنَّـارِ بـأطواءِ
الأضالعِ لم تزلْ
تَلْهب حتى يلْفَح
الوقـد بالوقْـدِ
أُحبك تَمشِي في
المقاصير خادرا
حبيـا تُحيـا
بالشـقائِق
والـوردِ
وأهـواك
والهيجـاء
مشبوبةُ اللظَـى
تُساوِرها فـي
غَضبةِ الأسـد
الـوردِ
تعالْي
إلـى
حِضنَ
ي

خُذْ
نِي

إليه
مـا
أذُقْ فيهما مـا
يوعد الناس في
الخُلْـ ـ ـ ـ ـد

بربك خَبرنـي
متى أنتَ ذاهِب؟

غـدا... عِنْـد
منْهل الندى من
قَـ ـم الفَجـ ـر

وأي الجيـ ـوشِ
الظـ ـ ـ ـ ـافراتِ
حشَـ ـ ـ ـ ـدتَها

لتقتادهـا يـوم
الكريهةِ لِلنصر

حشَدنَا وأعـددنَا
الجيوش جميعها

فـ ـ ذلك يـ ـ وم

الفَصل في البر
والبحـ ـ ـ ــ ر

وتلـ ك لعمـ ري
وقْعةُ الـ دهرِ إن
نَفُـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ز

بها قـ ر هـ ذا
الملْك في جبهةِ
الـ ـ ـ ـ دهر

وإن كانـ ـ ــ تِ
الأخرى– وقّـ ى
الله شَـ ــ رها -

فَحاطِمةُ الآمال،
قاصِمةُ الظهر

وكيفَ؟

فلـ ــ ن
يبقَى هنـ ا مـ ن
مقَاتِـ ـ ـ ـ ـ ـلٍ

سوى النزر أو
شَيءٍ أقَل مـ ن

النـ ـ ـ ـ ـزر

فلـو أن جيشًـا

فاجأتْنا زحوفُـه

غَرانَـ ـا فلـ ـم

نَصـ ـبِر علـى

فتْكـ ـ ـةٍ بِكْـ ـر

أ

م

ا

خِ

وْ

تُ

م

وَ

و

هِ

ي

أمِ

نـ ـــا
اعتَداء
هـ ــ م

بِجِاْفٍ شَفَى ما
في الصـدور
مــن الــوِتْر

أجزنَـــا الـــذي
ساقُوا لنـا مـن
مطَالـــــــــبٍ

لنأمن أعقَـاب
الخيانةِ والْغَدر

أ
ق
و
م
ي

غَ
د
ا
ر
و
ن

؟

!

ـه

ا أنتِ

ـه ــنهم

ولكن بأعراقي

دماؤُهم تجرِي

إذا كُنْتَ تَهواني

فَقَــومِي أعِــزةٌ

وملء العــين،

والقلـ ـ ـ ـ بِ،

والصـ ـ ـ ـ درِ

أحِبني، ومن أي
المرافئ فاصـلٌ

بِسفْنِـك؟

مـن
ملْقَى الحصينةِ
نُقِلـــــــع

سيمضـي لهـا
جيشٌ، فجـيشٌ،
فثالـــــــثٌ

فآمرهم أمـري
إذا ما تَجمعـوا

وملء مِن أُولي
العِلْـم المسـددِ
بـــــالْوغَى

صـحبتَ؟ فقـد
يهدون والخطـب
أسـ ـ ـ ـفَع؟ (١)

تَضم ابن يعلـى
رايتـي وابـن
جهـ ـ ـ ـ ـورِ

وفيهم لمن رام
المشورةَ مقْنَـع

وغالـب فـي
أسطولِه مطبـقٌ
بـ ـ ـ ـ ـ ـ ـه

(١) أسقع: حائل، أو أسود.

عليهم.. كمـا
تنقض نَكْبـاء
زعـ ـ ـ ـزع

ولي من رضاكِ
السـ ـمح بعـ ـد
عزيمـ ـ ـ ـ ـةٌ

تخـ ـوض بـ ـي
الجلـ ـى ورأي
مشَـ ـ ـ ـ ـيع

يقولـ ـ ـ ـ ـون
قسطنطين أرسلَ
رسـ ـ ـ ـ ـ ـلَه

إليكُم، وواقَـ ـى
وفد رومةَ يتْبع

فأي جليل الأمر
مـ ـا ينشُـ ـدانِه

ونحـ ـن غـ ـدا
للـ ـروع نهفُـ ـو
ونفـ ـ ـ ـزع؟

منـ ـى الـ ـنفْس
قَـ ـ ـ ـري.. إن
أسطولَ رومـ ـةٍ

وأُســـــطولَ
قُسطنطين جاءا
لِينصــــــرا

صِــقِليةٌ كانــتْ
منَاطَ رجاهمــا

فساقا لنا هــذا
العديد المجمهرا

ســـــــنُدمج
أُسطولَيهما فــي
ســـــــفِينِنَا

لكي يثْبتــا إن
ساور الخــوفُ
واعتَــــــرى

ومـــن منْهمـــا
تُفْضي صــقليةٌ
لــــــــــه؟

هواجِس أحلامٍ
يعج بها الكَرى

مواضِع إسلاميةٌ

عربيـ ـ ـ ـ ـةٌ

أبـ ــى اللهُ أن
تَصــبا [1] وأن
تتقَيصـ ـ ــ ـرا

ستَشْــهد هـ ـذي
القلعــةُ اليــوم
مجلسـ ـ ـ ـ ـا

يقســ ـم ملْ ــ ـك
الفـ ـ ـاطميين
أشْـ ـ ـ ــ ـطُرا

قبائِلُ من أزداجةٍ
[2] وزناتــ ـةٍ [3]

وأُخْرى هداها
الله أن تتحررا

دعِينَــا فلبينَــا،
ومن يغْز ُأمـةً

فشا الخُلفُ فيها
نــالَ نَصــرا
مـ ـ ـ ــ ـؤَزرا

(١) ينحرف عن الإسلام.

(٢) أزداجة وزناتة: أقوى وأعز قبائل المغرب، وكانتا في كثير من الظروف خارجتين على سلطان المعز لدين الله الفاطمي.

(٣) نفس المرجع السابق.

علــى بركــات
الله... فاذهــب
محصــــــنا
معانًا بروحِ اللهِ
وارجع مظَفرا
منَى النفْسِ هـلْ
أُدلي إلَيكِ بمنْيةٍ
تُضــيء بهــا
نَفْسي، ويهفُـو
لهــا قَلْبــي
أ
تـ
ر
ضـ
يـ
نَـ
نِـ
ي
ز
و

جـ
ا

أ
ـمَـ
ا
؟

كـ
ـيـ
فَ
؟

لا

ـتَـ
ـوُ
ـل

لماذا؟ أبيِني!

لَستُ من دوحةِ
العـ ـ ـ ــ ربِ

عرفتُكِ من بيتٍ
نَمتْه خَضـارم

هــم الجِلــةُ
الأعلَون مـ ـن

سادةِ الغَـربِ

وإن من الصـيدِ

الغَطـ ـ ـاريفِ

عِنْـ ـ ـ ـ ـدكُم

- وُ ـ ــ ديتِ –

لأعدالاً لنا من

بنــي حــربِ

أتأوي

لزوجٍ

مــن

سباءٍ

؟

فَما الذي

:

وُولين؟

هــذي قَولَــةُ

الصـ ـ ـدقِ لا

الكِـ ـ ـ ـ ـذْبِ

ظَلمـ ـتِ

أبـ ـاك
السـ ـمح

بـ
لْ إن
قَضلَه
هـ ـداني لهـ ـذا
الكُرهِ والمركَبِ
الصـ ـ ـ ـعبِ

أيرضى لمِيراثِ
النبــي خليفــةً
بـ
ـنُـ
و
ه
بـ
ـنُـ
و
ا
لأ
سـ
ر
ى

؟

رفعتُ إليه الأمر

فاهتَز وانْتَشـى

وقـال بـردتَ

اليوم أضلاعي

الرمضـــا

وقالَ سيمشِـي

المسلِمون مهنَّئًا

- بكــل فجِــاجِ

الأرضِ – بعضهم

بعضـــــا

أحِبي

فدتْكِ

النفس

ل

س

تُ

حـ

ر

يـ

ةً

بـ

هذا السنَا العالي

أعتده رفْضـا

ظلمـتَ ودادِي،

فانتظر ريثَمـا

تَعـــــــد

لكـيلا تَعـض

الكَف من نَـدمٍ

عضـ ـ ـ ـ ـا

فسِر غازيا فـي
اللهِ وافْتح بِسيفهِ

وعد ظـافرا..
دكتْ جحافلُـك
الأرضـ ـ ـ ـا

وجِئْتِنـي، تجـد
حسرى عليـك
أذابهـ ـ ـ ـ ـا

نـواك... فلـم
تَطْعم قرارا ولا
غَمضـ ـ ـ ـ ـا

أما والذي رواكِ
بالحسن رائعـا

وبالسحر عفا،
والصبا مونِقًـا
غَضـ ـ ـ ـ ـا

فإني لأملا منكِ
طرفي فأنْتَشِـي

ويركُض قلْبـي

فـي أضـالِعهِ
ركْضـ ـ ـ ـ ـا

سأصبر حتـى
تَبلُغَ النفس همها

فإن نَـد عنـي
رحتُ أقْرضـه
قَرضـ ـ ـ ـ ـا

(يخرج الحكم وقبل أن يبلغ الباب يرجع
مرة أخرى)

سأمضـي إلـى
مولاي... كيفَ
أُجيبـ ـ ـ ـ ـه

إذا شـاء عـن
أنبائِنـ ـ ـا أن
يخبـ ـ ـ ـرا؟

قل الأمر موكولٌ
إليـه، وإنمـا

رجائي إلَيهِ أن
يقر ويصـبرا

س
أل
ق
ا

كِ

قّ

بـ

لَ

ال

ز

حـ

ف

جِـ

ئـ

ـنـ

ي

فـ

إ

ن

لِ
ي

هـ ـ وى لـ ـ ج
فاستَشْـ ـ ـ رى،
وقلبـ ـا تَفط ـ را

وبـ ـ ـين حنَايـ ـ ـا
الـ ـ نفْسِ دمـ ـ ع
حبسـ ـ ـ ـ ـ ـتُه

فقـ ـ د آن يـ ـ وم
البين أن يتحدرا

(ثم يقترب من أحد
الأبواب ويصيح)

منَـ ـى،
يا منَى
أقْبلـ ـي

المشهد السادس

أ

وْ

بـ

لِ

ي

أ

بشْرى تَزفونَهـا

اسـ ـ ـ ـ ـأَلي

أ

أ

سـ

أ

أُ

هـ

ا

هِ

ي

؟

بـ

ل

فـ

ا

سـ

أ

لِ

يـ

هِ

حزر

تُ وربـ ـ ـ ـ ـي

تَعجلـ ـ ـ ـ ـي

حـ

د

يـ

ثُ

ز

و

ا

جٍ

أ

هـ

ا

ة
س
تَ
حِ
يـ
ن
؟
!

ألا لا تَضِـــلي
ولا تَجهلـ ـــي

حلَفْتُ بمن خَلَقَ
العـ ـ ـــالَمين

وقَسم أخلاقَهـ م
كيـــفَ شـــاء
فخص الرجـالَ
بظلـم النســاءِ،
وبالكذْب واللغو
خَص النسـاء
ل
ق
د

ص
ح

م
ا

ؤُ
لْ
تُ
.

.

.

لا

ل

م

ئ

ص

ح

!

!

أ

حِبهـ ــا

أ

ة

ة

ك

ر

؟

سأمضــي فــلا

وقتَ أُلْقـي بـهِ

هباء لأسمع هذا

الهـ ـ ـ ـ ـذَاء

(يتضاحكون، ويخرج الحكم وتتجه منـى

إلى شفق في عجلة)

نبئينــي مــاذا

فَعلْـ ـ ـ ـ ـتِ؟

صبر
ا

أنـ ـ ـ ـــاةً

بـ ـــلْ ذَا أوان
الكـ ـ ـ ـ ـلامِ
هلْ عرفْتِ الذي
أجنوا من السر؟
ع
ر
فْ
تُ

ا
ل
ق
ل
يـ
لَ

أيـ ـ ـن
هـ ـ ـذا
القليلُ؟

و
يـــكِ
تأني

وارحمِي أَـيس
في يدي زِمامِي

رب حيـ ـ ـ رى
رمـ ـ تْ بهـ ـ ا
هجساتُ النـ ـ

ـ ــفْسِ بــين
الإقْـ ـ ـ ـ ـ دام
والإحجـ ـ ــامِ

أ
ي

وَ
و
لِ

تُ
أْ
ق
يـ
ن
؟

هـ
ز
ا
شُ
ء
ا
ع

ال
نـ
ـ

ـ ـار تَفْـري
تَرائبـ ـ ـ ـي
وعِظـ ـ ـامِي
إنهـا همسـةُ
التخَيـ ـل والأو

هـ
ا
مِ

كلا

بـل صـرخَةُ

الآثـ ـ ـ ـ ـامِ

يا ابنَةَ الْعـم لا

أعِي ما تَقُولـ ـ

ـ ـين لفـرطِ

الغُمـ ـ ـوض

والإبهـ ـ ـ ـامِ

حـدثيني مـاذا

دهـ ـ ـ ـ ـاكِ؟

د

هانِ

ي

أنني قد أتيـتُ

إثمـا جسـيما

أي إثم تَعنـين؟
والله مــا جــا

هدتِ إلا بغْيـا
وظلمـا أثيمـا

أي إثـم تـأتين
حـين تُصيبـ ـ

ـ ـين عـدوا،
وتَصـــرعِين
خَصِـ ـ ـ ـيما

ه
ل

ت
ج
ي
ب
ي
ن
؟

أ
س
تُ

أ
جَ
هـ
لُ

يـ
ا

أ
خْ
ـ

ـتاه أنا نَـروم
أمـرا عظيمـا

لا يضير الكريم
أن يركب الخِطْ

ء إذا القصـ ـد
كـان ضـخما
كريمـ ـ ـ ـ ـا

قلت حقًا... فمن
هفَا لجليـل الأ

مر لـم يحفِـل

الطريقَ القويما

لا تظنـي أنـي
أُكن لهذا النـ ـ

ـاصر الـود
والوفاء القَديما

ما اجتبـاني إلا
ليبـ ـدو للنـ ـا
س عفُوا علـى
عـداه رحيمـا

(بعد سكون وتردد)

غَ
يـ
ر

أ
نـ
ي

أُ
خْ
تَ
ا
ه

مـ

اذا؟

أبيني

سمتُ هذا الفَتَى

جحودا ولُومـا

خـــال عنْـــدي

الوفاء والعهـد

والحـــــــــ

ـب فَجازيتُـه

خـداعا لَئيمـا

وأراني النعيم ذَا

الظل والخَمــ

ـر فأوسـعتُه

جحيما جحيمـا

(ثم تقول منتفضة

في عصبية ظاهرة)

لَستُ أهواه يـا

منَى، لستُ أهوا

ه... ولكن أراه

سمحا كَريمـا

وأرى قُربه يهيج

بنَفْســـــي

وبأعماقها جوى

مكْتُومــــــا

وأرى قَولَـــه

شديدا.. شـديدا

وأرى صــوتَه

رخيمـــا...

رخيمــــــا

فأراني أهتَز إن

شـمتُ عينَيــ

ـهِ كما دهـده

الدوار سـقيما

لستُ أهـواه..

كيــفَ أهــوى

عـــــــــدوا

سـامنَا قَومــه

العذَاب الأليما!

(تضطرب اضطرابا شديدا وتلجأ باكية لأحضان منى)

بلْ أحِبه... فَهو

أكــرم مــن لا

قيتُ في هـذِه
البلادِ وأسـمى

ويكِ
مـا
قُلْتِ
..

أ
شْـهد
الله أنّي

لــتُ حقــا

ل قلــتِ مينًــا
ووهمـــــــا

أي شياطين كل
كــذْبٍ وغــش

أسعِفِينى، إنــي
أرى الخَطْــب
طَمــــــــا

(ثم تتجه لشفق في
عطف)

اسمعي بعــض
حجتي تَفْهميهــا

ليتني أســتَطيع

أُخْتَــاه فَهمــا

ليس رأيا موفقًا
أن نَسوم العـ ـ

ـرب سـحقًا
يقْضِي علـيهم
وحطْمـ ـ ـ ـــا

بــل كفَانَــا أن
يضعفُوا ويهونُوا

فتـ ذوقَ الــ دنَا
قَرارا وسـلْما

وتعيشَ الدولاتُ
لا خوفَ غـازٍ

يبتليهـ ـــا، ولا
عتُوا وهضـما

أيما أمة تقرر ما
تختـ ـ ـ ـــ ـ ـ

ـار شرعا لها،
ودينًا وحكْمـا

عِلِم الله ما تَبينْتُ
مـ ـ ـ ـ ـ ـــا

قُلْتِ شَيَئًا، ولا
تَزيدتُ عِلْمـا

إنــه الناصــر
استَذَل ملوك الأ

رض بغيـ ـا،
وطَبقَ الأرض
ظُلْمـ ـ ـ ـ ـا

إنه وحده الـ ذي
عهــ ر الجيــ ـ

ـ لَ، وأضـ فَى
عليــه هونًــا
وعقْمـ ـ ـ ـ ـا

فإذا ما اعتَلـى
ابنُه العرشَ يوما

حسِـمتْ هـذه

المكاره حسـما

وأمنـا جـوار

صـهر كـريم

كان بـالأمسِ

أنْبـلَ النـاس

خَصـمـا

رقْرقي.. رقْرقي

الحديث المصفى

وتَعـالي

أهصرك لَثْما،

وضـمـا

إن أذني تلتـذه

كالْتِـذاذِ الـ

ـهيم [1] ظِـلا

رطبـا ومـاء

خِضـما

نَبِئيني فَمقْطَـع

الـرأي والتـد

(١) الهيم: العطاش.

بير أن تَرجـع
الكتائب كلْمـى

ضـعفُ هـذي
الجيوش يضفي
علـ ـ ـــي الأر

ض سـ ـ ـلاما
قُدسا، وأمنًـا،
ونُعمـ ـ ـــى

نَبِئينـي.. مـاذَا
وراءك؟

أ
خْ
شَ
ى

أن يصـ ـ ـاب
الأميـر فيهـا

ويصـ ـ ـ ـمى

لَـ ـن ينـ ـالُوه

بـ ـ ـ ـالأذَى...

أ

فَعهـ ـ ـد

الله

عهدا وكدتُ لله

ضـ ـ ـ ـ ـخْما

ســ ـ ـتار

الفصل الرابع

المشهد الأول

(قلعة ملحقة بقصر غرناطة جدرانها قاتمة الألوان، نثـرت فها مقاعد صلبة، وأعد فيها للناصر عرش لا أثر للزينـة به، يدخل الناصر والحكم. يجلس الناصـر علـى عرشـه متوكئًا على ذراع الحكم، ويستأذن الحكم فيدخل ابن يعلـى وابن جهور وغالب وأمير زناتة وأمير ازداجة ورسول ملك إيطاليا ورسول قسطنطين ملك الروم).

الناصر : دعـــوتُكم قَبـــلَ أن تَســـيروا
وقبـــلَ أن يبحـــر النفيـــر [1]
فَهـــلْ لـــديكُم جديـــد رأي
وهـــل نصـــيح، وهـــلْ مشـــير؟!

الحكم : مـــولاي دبـــرتَ فامتَثلْنـــا
فإنـــك الســـاِير الخبيـــر
ورأيـــك الثاِقـــب [2] المضـــوي [3]
وقَولُـــك الأولُ الأخيـــر

الناصر : بنَـــي إن أزمـــةٌ تَـــراءتْ
وأطْبـــقَ المـــأزقُ العســـير
وأظلـــم الأمـــر فَهـــو لَيـــلٌ
يضـــل فـــي تيهـــهِ البصـــير

---

(١) النفير: يقال لقوم نافرين للحرب.
(٢) الثاقب: المضيء.
(٣) المضوي: مخففة الهمزة: المنير.

فاستَنْصِـ ـح العـ ـارفين تَسـ ـلَم
فـ ـلا يغُرنـ ـك الغَـ ـرور [1]

بنَـ ـي فاسـ ـمع لهـ ـم وسـ ـعهم
فهكـ ـذا تَصـ ـلُح الأمـ ـور

(ثم يقول في شيء من الإعياء)

بنـي خُـض فـي الجليـل عنـي
يفْخَـر بـك الْعـرشُ والسـرير

الحكم : مـولاي تـدري فقـد وضـعنَا
فـي حكمـةٍ خطـةَ الهجـومِ

ومـا تَركْنَـا دقيـقَ أمـرِ
إلا عجمنـاه [2] فـي الصـميمِ

رسول قسطنطين (مستأذنا) : عـن عاهـل الـروم قَـد نَفَرنَـا
لنُصـرةِ العاهـل العظـيمِ

مـولاي أُسـطولُنا شَـريك
فـي هـذه الغَـزوة العـزومِ [3]

فهـلْ عـن الأمـر مـن بيـانِ
فـنحن فـي غاسِـقٍ بهـيمِ

الحكم : أخُطـةُ الحـرب؟!

الرسول : إن أذنْـتُم

---

(١) الغرور: بفتح الغين الشيطان.

(٢) عجمناه: خبرناه.

(٣) عزم الفرس يعزم عض. والغزوةُ العزوم التي تأكل الرجال وتعض الأبطال.

الحكم : دعهـا لـذي الخِبـرةِ العليـمِ

أصـاب أهدافَـه كتُـوم

وخَـاب مـن لَـيس بـالكتُومِ

رسول روما : مـولاي

الناصر : قُلْ يـا سـفير رومـا

رسول روما : أقْـدِم علـى رأيـك الكـريمِ

البـر والبحـر صـهوتاكُم

فسـاوِروا صـهوةَ النجـومِ

فَـرعتُم المجـد بـالعوالِي [1]

وسـدتُم الـدهر بـالعلومِ

فـنحن والـروم سـاعداكُم

فامضـوا إلـى المطْلَـبِ الجسـيمِ

رسول قسطنطين : مـولاي ملْكِـي لَـه رجـاء

فَهـلْ لإقْـرارِهِ سـبيلُ

الناصر (مقاطعا) : أي رجـا والحـروب تضـرى

غَـدا، وغِراتُهـا شُـكُولُ [2]

غـدا تَمـوج البحـار سـفْنًا

ويكْثُـر الضـبح [3] والصـلِيلُ

أعباؤنـا فُـدح ثِقـالُ

(١) شكول: متشابهة.

(٢) العوالي: الرماح.

(٣) الضبح: صوت للخيل تخرجه عند عدوها.

ويومنـ ـــا مرهِـ ــ ـق طَويـ ـ ـــلُ

رسول قسـطنطين (في إلحاح) : مـ ــولاي يســ ـألُ عــ ـن صِقِلْـ ـ ــ ـ

ـ ـ ـــلية، متَـ ــى تُفْضِـ ــي إلَينَـ ـا

كانَـ ــتْ لَنـ ــا قَبـ ــلَ المعِـ ـــز

فضـ ــ ـمها، وبغَـ ـــى علينَـ ــ ـا

تُفْضِـ ـ ـــي لَكُـ ـ ـــم؟!

لِـ ــم لا، وهـ ـــا

ذَا حقنَـ ـ ـ ـ ـــا؟!

رسول إيطاليا (في تحد) : وإذا أبينَـ ـ ـ ـا

رسول قسطنطين : تـ ــأبون! مـ ـــن أنْـ ــتُم وقـ ـــد

وعـ ــ ـد الخليفـ ــ ـةُ فاكْتَفَينَـ ــ ـا

رسول إيطاليا (في دهشة) : وعـ ــد الخليفـ ـةُ؟

الناصر (في اعتداد) : مِثْـ ــ ـــلُ هـ ـ ـ ـ ـ

ـ ـــذا القَـ ــول لا يلْقَـ ــى لَـ ــدينَا

عــ ـودا إلــ ـى مـ ــأْثُورِ فَضـ ـ ـ ـ

ـ ـ ـ ـ ـلِكُما

رسول إيطاليا : أطَعنَـ ـا، وانْتَهينَـ ـا

الحكم : فَلْنَطْـ ـ ـــو هـ ـ ـــذا الحـ ـ ـــديثَ

رسول قسطنطين : مـ ـ ـــاذَا

تَقُـ ـ ـ ـ ـ ـولُ؟

الناصر (في حدة) : الــ ـرأي مــ ـا يقـ ـولُ

إذا رجعنَـ ـ ـا غـ ـ ـدا بِنصـ ـ ـرٍ

وحقـ ـ ـقَ المطْلَـ ـ ـب الجلِيـ ـ ـلُ

نظَـ ـ ـرتُ فيمـ ـ ـا سـ ـ ـألْتُمانِي

واللهُ مِـ ـ ـن فَوقِنـ ـ ـا المسـ ـ ـولُ

(يستأذن الرسولان ويخرجان)

أمير زناتة (واقفًا) : مـ ـولاي فـ ـأذَن

الناصر : قُلْ أمير زناتـ ـة

أمير زناتة : عـ ـز – الغـ ـداةَ – بعـ ـزك الإسـ ـلام

العرب في شـ ـرق البحـ ـار وغربِهـ ـا

أنـ ـ ـتَ الرقيـ ـ ـب علـ ـ ـيهم القَـ ـ ـوام

واللهِ مـ ـا وهنَـ ـتْ وطائـ ـد مجـ ـدِهم

وبنـ ـو أُميـ ـةَ فـ ـارعون قِيـ ـام

إن خُضتُم البحر الخِضـ ـم وركـ ـزتْ

بـ ـالقَيروان قَنـ ـاك والأعـ ـلام

فـ ـالمغْرب الظـ ـامِي لُحرياتِـ ـهِ

لـ ـك مِنْـ ـه عهـ ـد مـ ـودة وذِمـ ـام

وعلَيـ ـك مِـ ـن أزداجـ ـةٍ وزناتـ ـةٍ

سلْم، ومِـ ـن بـ ـاقِي البطُـ ـون سـ ـلام

الحكم : إنـ ـا لنَقْـ ـدركُم، ونَقْـ ـدر فَضـ ـلَكُم

وولاءكُـ ـم، ونجِلكُـ ـم أقْيـ ـالا

ونـ ـود لَـ ـو كانـ ـتْ معـ ـونَتُكُم لنَـ ـا

يـ ـوم النـ ـزول بأرضِـ ـكُم أعمـ ـالاَ

زعيم أزدلاجة : مرنـ ـا نُطـ ـع

الحكم : إن دان شـ ـــاطِئكُم لَنَـ ـــا

فَقِدوا [١] المـ ـدائن ثـ ـورةً وقتـ ـالا

وثِبوا علـ ـي سـ ـفْن المعـ ـز وجيشـ ـهِ

مِـ ـن خَلْفِـ ـه نَجمـ ـع علَيـ ـهِ نَكَـ ـالا

فـ ــإذَا ورِثْنَـ ــا ملْكَــ ـه كُنْـ ــتُم لَنـ ــا

فـ ـي المغـ ـربِ الـ ـوزراء والعمـ ـالا

زعيم أزدلاجة : بـ ـلْ إن أبكـ ـار المنَـ ـى أن تَحطِمـ ـوا

عنا القيود وتَرضـ ـخُوا [٢] الأغـ ـلالا

الحكم (للناصر) : مولاي عبئَتِ الجيـ ـوشُ فَمـ ـر تَسِـ ـر

وتَخُـ ـض إلـ ـى غاياتِهـ ـا الأهـ ـوالا

قَسـ ــما فإمــ ـا أن نَعــ ـود أعــ ـزةً

دِنـ ـا الجبـ ـابِر، أو نَمـ ـوتَ رجـ ـالا

(يقف الناصر فيقف الجميع)

الناصر : سـ ــيروا خِفَافًــ ـا ِللجهــ ـادِ وآمنُـ ــوا

بِجهـ ـادِكُم تَلِـ ـدِ النصـ ـالُ نِصـ ــالا

وامضوا، فَنَصـ ـر الله مكْفُـ ـولٌ لِمـ ـن

شَهدوا الصـ ـيالَ فسـ ـابقُوا الآجـ ـالا

(ثم يمسك بيدي الحكم ويكاد يضمه، ويسلمه سيفه)

أبنَي جيشُ أبيك ما خـ ـاض الـ ـوغَى

---

(١) وقد كأوقد أي: ألهب.

(٢) وضخ: كسر.

إلا ســـما هـــدقًا، وعـــف قِتـــالا

قُـده علـى المـأثور مـن أخْلاقِـهِ

فتَـرى البطُولـةَ فيـه والأبطـالا

ابنَـــي إن بنِـــي أُميـــةَ علقُـــوا

آمـــالهم بـــك، فـــابلُغ الآمـــالا

مـا كـان يخْـزِيهم ويحـزنُهم إذا

قـالوا هـوى الطـود الأشـم وزالا

لكـن يـدِب العـار فـي تـاريخهم

إن قِيـلَ: فَـر، وشَـمر الأذْيـالا

(تدخل الزهراء، مسرعة الخطى، وقد ارتسم علي وجهها اهتمـام بالغ، يغض الحاضرون من أبصارهم)

المشهد الثاني

الزهراء : مـ ـ ـ ـ ـ ـولاي

الناصر : من؟ من ذا أتى بـ ـكِ

الزهراء : جئْتُ للأ

مر الجليـ ـل..

الناصر : وأي أمـ ـ ـرٍ ذَاكَـ ـا

الزهراء : قَد أجمعوا تحتَ الـ ـدجى أن يهـ ـدموا

ملْكَـ ـا تَفَـ ـرع فـ ـي الْعـ ـلاَ بِعلاكَـ ـا

هي فتنـ ـةٌ عمـ ـم بقَصـ ـرك سـ ـعرتْ

وتكـ ـاد تَعصِـ ـفُ نارهـ ـا بِسـ ـناكا

يتربصـ ـون بـ ـك الـ ـدوائر فـ ـاحترس

الناصر : مـ ـن هـ ـؤلاءِ؟

الزهراء : فـ ـأَعفني رحماكَـ ـا

الناصر (في حدة) : أأجبـ ـ ـ ـتِ؟!

الزهراء (بعد برهة تردد) : أخْل القاعتَين فإنهـ ـا الـ ـ

ـجلى، ولَـ ـن ُأدلِـ ـي بهـ ـا لسـ ـواها

(يشير الناصر إلى القوم فيخرجون، فإذا أراد الحكم أن يخرج أيضا عاجله الناصر بقوله):

الناصر : أبني هـ ـذا المـْ ـك ملْكُـ ـك فـ ـابقَ لا

تَخْـ ـرج فَيهـ ـدِيني السـ ـبيلَ حِجاكَـ ـا

(ثم يلتفت إلى الزهراء)

هاتِي الحديثَ

الزهراء : لَئِن نَطَقْـتُ خَشِـيتُ أن

يقْضِي عليك الوجد...

الناصر : ويحكِ فانْطِقِـي

الزهراء : مـولاي

الناصر : قولِي ما عرفْـتِ وأسـرعي

قد كدتِ أن تُـودي بِحِلْمـي فـاتقي

الزهراء : أدنَـى ثِقاتِـك بـين أهلِـك!!

الناصر : إنه الـ

ـعبء الذي أعيا إذَن عـن حملِـهِ

ماذَا؟ أقصري وكُر مـا أمنْـى بـهِ

مِن آثِـم الغَـدرِ الخَسـيسِ ونَذْلـهِ؟

أتَـدك ملْكِـي آفَـةٌ مِـن صـلْبِهِ

حين استَكان خُصومه مِـن حولـهِ؟!

من ذَلِك الجاني؟

الزهراء (في ضراعة) : تَريـثْ

(ثم تلتفت إلى الحكم في إشفاق كأنها تسأله الصبر علي سماع ما ستقول للناصر، فيخطئ الناصر فهم هذه النظرة ويثور ثورة جارفة)

الناصر : إنـه

ولـدِي إذَن قَتْـه أخٌ مِـن قَبلِـهِ

الحكم (مستنكرا) : أبتَـ ـ ـا

الناصر : تَعِســتَ فلــيس غيــرك عــالم

بِمشــارفِ الســر الخَطيــرِ وســبِيلِهِ

إن لم أُذِقْك الموتَ ذُقْتُ أنــا الــردى

خَجلا.. أنــا الملِــك الشــقي بِأهلِــهِ

وطَني سلمتَ... فإن سلِمتَ فإنها الـ

ـنعمى يعوضــها أب عــن ثُكْلِــهِ

ثم يتجه إلى الحكم في وحشية)

انْــطِق

(تدخل شفق من الخارج صائحة بأعلى صوتها)

شفق : أمــين الله لا تفتــك بِـــهِ

الناصر : شَــفَقُ ابنَتــي!؟

شفق : يا لــلأبِ المِســكين

المشهد الثالث

(يؤخذ الحكم ويتماسك الناصر)

الناصر : أبنَيتِـي مـاذا أصـابكِ؟

شفق : لَســتَ لِــي

بــأبٍ ولا ديــن الحنيفــةِ دينــي

أنا بنتُ عار الدهر صك [1] بي الـدنَا

ملْعونَــة الأصــلابِ والمــاعون

رقْطـاء تَلـدغُ مـن كسـاها نِعمـةً

في لؤمِ مضـطَغنٍ وغَـدرِ خَـؤُون

الناصر : ماذا أتَـى بـك؟

شفق : جئـتُ أنْقُـض مـأتَمِي

عنــي الغَــداةَ!!

الحكم : فأوضِحِي وأبِينِي

شفق (في هياج) : لا تُرسِــلُوا أســطُولَكُم وجيوشَــكُم

عِلْــم العــدو بســرها المكْنــون

الناصر : أعــداؤُنا علمــوا بخُطتنــا؟

شفق : أجــــل

الحكم : شــفقُ اســتَمعتِ لكــاذِبٍ مــأفُون

شفق (في بكاء) : تالله مـا كـذَب الـذي قـد خـانكُم

---

(١) صك: ضرب.

بلْ كـان ينْقُـلُ أصـدقَ الأخبـار

الناصر : من ذلـك الجـاني؟

شفق : أنا ؟!

الحكم : أجننْـ ـ ـ تِ؟

شفق : بـ ـ ـلْ

تلـ ـك الحقيقـ ـةُ غيـ ـر ذاتِ إزار

الناصر : شـ ـفقُ اصـ ـ دقيني

شفق : قَـ ـ د صـ ـ دقْتُك!!

الحكم : ما الذي

تُلْقيـ ن؟

شفق (في ثورة) : ذَاك تكرمـ ـي أو عـ ـاري

ثأري وثـأر أبـي وأوطـانِي التـي

محِقَتْ ومن غَيـري ينَـاطُ بثـاري

خنتُ الحبيب وظَلْـتُ أغْـزو قلْبـه

فـي شَـنْأةٍ (١) وخساسـةٍ وصـغار

لَم يطْوِ عني سِـره. فـي عاصـفٍ

مِـ ـن حبـ ـه كالقاصـ ـفِ الهـ ـدار

وعزمتُ. فاستَعر الهوى في أضـلُعي

فَرميـ ـتُ قـ ـومي طُعمـ ـةً للنـ ـار

وحقَـرتُ سـعيِي لِلنهـوضِ بـأمتِي

(١) الشنأة: البغض والعداوة.

وجعلتُ هـذا الفَخْـر مـن أوزاري

الناصر (في حدة) : شَفَقُ اجتَرأتِ على الخيانةِ فاصـمتي

أفتفخـ ـرين بإثمِـ ـكِ الكُبـ ـار!

شفق : إثم.. أجلْ.. لكِـن نَهضـتُ بِكِبْـرهِ

لمـا نَهلْـتُ السـحر مِـن ناقَـار

(في ضراعة وبكاء) أبتَا أتغفر لِي؟!

الناصر : شَقِيتِ ألَـم تُـذِقْ

ولَدي الحِمام أسـنتي وشِـفاري [1]

وطَنِـي افتـديتُك بِالحيـاةِ رخيصـةً

والأهـ ـل والأبنـ ـاءِ والأنْصـ ـار

هـ ـذا تـ ـراثُ الخالـ ـدين حفِظْتُ ـ ـه

بـ ـدمِي.. وديـ ـن الواحِـ ـدِ القَهـ ـار

شفق : أبـتَا

الناصر : فلسـ ـتُ أبـ ـا لِمِثْلِـ ـك ضـيعتْ

حرمِي، وألْقَتْ في الثـرى إيثَـاري

(تسقط جاثية علي ركبتيها عند قدمي الناصر فيستطرد هذا للحكم في زراية)

افرغْ لهـا... إنـي سـأفْرغُ للـذي

يفْجـا مِـن الأحـداثِ والأخْطـار

(يخرج الناصر ويحاول الحكم الخروج من باب آخر)

شفق : حكَـم

(١) شفاري: جمع شفرة وهي حد السيف.

الناصر : الخَسْــــــئي

شفق : حكَــم انتَظِــــر

الحكم : لا تَنْطِقــي

بِاسْــمٍ، شَــنَارك حفْــه بِشَــنار

شفق : حكَم..

الحكم : اعفُري في التربِ رأسك واقْبعــي

كالبوم بَـين النـؤي [1] والأحجـار

وردِي الهــوان أثيمــةً فــي هــوةٍ

مِــن ذِلــةٍ لَيســتْ بِــذاتِ قَــرار

شفق (في إعياء) : حكَـم اسـتَمِع لـي

الحكم (في تهكم) : لا جديـــد أزيـــده

من حر أخْبـاري ومِـن أسـراري

(تقف شفق)

شفق : هبني جنَيت، وقـد جنَيـتُ فـأرعِني

أُذْنَيــك أســكُب فيهمــا أعــذاري

يــا رب إثْــمٍ جلــلَ الــدنْيا ســنًى

وهدى كمصـباحِ السـماءِ الـواري

الحكم : مــاذا؟ أتَعتَــزين بِــالجرمِ الّــذي

قَارفْتِ، لؤم الكُفْـر فـي الإصـرار

يا شَر ما في الخِزي مِن خِـزي ويـا

عــار النســاءِ ووصــمةَ الأبكــار

---

(١) النؤي: الحفير حول الخباء ليمنع السيل.

يـا نَـزوةَ الحقْـدِ الـدخيل سـعاره
يا لفحـةَ المقْـت الوقَّـاحِ العـارِي
يا.. كُل حسنٍ فـي الوجـودِ منَضـرٍ
قَد صب فـي أجـلادِ ذِئْـبٍ ضـار
لَـو لَـم يجـر علـي قَتْلُـكِ سـبةً
لفَعلْتُ... ثم شَـفَيتُ فيـكِ سـعارِي

شفق : افْعلْ تُرِحنِـي مِـن جـوى متَفَـاقِمِ
قـد شَـفني فـي أُمتِـي وديـارِي
افْعلْ يـرق عـن الضـمير عذَابـه
ويخــف فــادح عبئِــه الجبــار
افعـلْ فـإن المـوتَ أحنَـى موئـلٍ
لعــدو موطِنِــهِ، وأكْــرم جــار

الحكم : أذكرتِ قومك؟.. أين قومـك! إنهـم
عصـب مـن الأذْنَـابِ والأغْمـار
وذكَرتِ نافار العظيمـةَ؟

شفق (في حدة) : لا تَـــزد
وحذار من وغَـرِ الصـدور حـذار
لا يخدعنك مـا تَـرى عـن عِـزةٍ
ضربتْ على الـدولاتِ والأمصـار
المجد يـومض كالشـعاع ويخْتَفـي
والملْك يـذْهب كالخيـال السـارِي
لو لم يخُني – وهو بين جـوانحي -

قَلْبِــي. لَــ ذُقْتُم صــدمةَ الأَقْــدارِ

الحكم : أي الهــوى تَتَحــدثين بــه

شفق (وتمسك بطرف ثوبه فيبعدها) : ألا

تحنُو عليّ؟! أمـا رعيـتَ ذِمـارِي

الحكم (في ازدراء) : عني... وهلْ يرعـى ذِمـار سـبيةٍ

لـم تَطْـوِ غيـر الحقْـدِ للأحـرارِ

لَو لـم يضـمكِ حِجرنـا وخُـدورنا

لَجرعــتِ ذُل أســى، وذُل إســارِ

ولَعِشْتِ في سـوق الرقيـق مهينـةً

تُلْقَــين مــن شــارٍ لآخــر شَــارِ

شفق : قلْ كيف شئْتَ.. فَلَن أضيقَ بكُل مـا

تُبديــه مــن مقْــتٍ ومِــن إنْكَــارِ

لكنــه عذْــب الضــمير، وإنــه

لأشَـد مـن وخْـز القَنَـا الخَطـارِ

يا قلـب أنْسـاني غَرامـك واجبـي

وأزلنــي عــن نُهيتــي ووقَــارِي

يا قلْب كـان العـار فيمـا سـمتَني

فَرضِيتُ واستَمرأتُ مرعـى العـارِ

يا ليلُ هل تَرِثُ النهار علـى المـدى

إنّــي لأخْــزى وجــه كُــل نَهــارِ

(ثم تلتفت في ضراعة إلى الحكم)

حكَم اذْكُــر الحــب الــذي بــادلْتَني

الحكم : هــذا لعمــركِ آلــم التــذكار

شفق : واذْكُــر عهــودك..

الحكم : ما ذكرتُ سِـوى الـذي

جرعتِنــي مــن غفْلــةٍ وصــغار

شفق : إن ملْتَ عن حبـي فَـراعِ أُخُـوتي

الحكم : بِليتْ بلاء الرث فـي الأطْمـار [1]

هجنْــتِ فــي عينــي كُــل فضــيلةٍ

ولَطَخْــتِ غُرتَهــا بــذوبِ القَــار

وأبحتِ نفْسـكِ للْهـوان، ولا هـوى

إلا علــى الإجــلال والإكبــار

شفق (تقترب إليه وتمسك بأهداب ثوبه)

أفَقَــدتُ كــل وسِــيلَةٍ؟

الحكم (يدفعها صارخا) لا تَــــــــأملي

إن الجــراح بعيــدةُ الأغْــوار

(يخرج الحكم)

---

(١) الأطمار: جمع طِمر، الثوب الخلق أو الكساء البالي.

المشهد الرابع

(تدخل منى ثائرة متحفزة وتقابلها شفق متحفزة متحدية وتنهض من ضعفها في حركة حازمة)

شفق : تَعالَي سفير الخَتْل والبغْـي والخَنَـا،
تَعالَي نَذير المـوتِ أغْبَـر مربـدا
تَعالَي فقـد جرعتِنـي أقْتَـلَ الأسـى
وجللتِنِني عـارا، وحملْتِنِـي جهـدا

منى : ذكرتِ الخَنَا والعار يا عـار أهلِهـا،
وعار بلادٍ لـم تَلِـد قَبلَهـا وغْـدا
كسوتِ أباكِ الخِزي في طُهـر قبـرهِ
ولـدتِ لـه ملْكًـا فأذلَلتِـه عبـدا

شفق (في حقد) : نَفَذْتِ لركْنٍ فـي ضـميري رفعتُـه
على الخُلُق الأسـنَى فقوضـتِه هـدا
وأغْريتِ بي نفسـي وألْقَيـتِ بينَهـا
وبيني عداء لن يهـون ولـن يهـدا

منى : قَضيتِ على آمـال قَومِـك فامحـتْ
وكانتْ إليهم قاب قَوسـين أو أدنـى
بعثْتِ لهم في جلْـوةِ العـرسِ مأتَمـا
فَكنتِ الذي أصمى، وكنتِ الذي أفْنَى
بـلادك قـد أشْـقَيتِها بـل أضـعتها
وكانت علي أيـديكِ تَرتَقِـب اليمنَـا

بـــ ــ ـــلادك..

شفق (في ثورة) : كفى ذلك اللغو ليـس لــي

بـلاد ولا أهـلٌ!!

منى (في حدة) : لعنـــتِ إذن لعنَـــا

شفق : بلادي. لتُركَس فـي الجحـيم فـإنني

أكن لها مقْتًا وأطْـوي لهـا ضِـغْنًا

هوتْ بي لأحضـان الشـقاءِ فشـفني

وكان الهوى والعيشةُ الرغْـد لـي حِضـنَا

منى : دعتْكِ إلـى الجلـى فخيبـتِ ظنَهـا

شفق : دعِيني وحقدي لا تَزيدي لـه حِقـدا

دعتْنــي وقالــتْ إنــه بعــثُ أمــةٍ

فلم أدخـْـر وسـعا لـدي ولا جهـدا

فلــم تَــك إلا ســرحةَ الخُلْــدِ ذُقتُهـا

فذوقني رضوانُها البغْض والطـردا

(في حقد شديد) بلادي وقـومي أرسـلَ الله حاصـبا

فيهدمها هدما، ويحصـدهم حصـدا

منى (في ثورة) : لك الويلُ مـن هـونٍ يمـج خزايـةً

وداعِـر إثْـمٍ يمـلأ الأرض مأثَمـا

ترديتِ في مهـوى الخِيانَـةِ والخَنـا

فكان عليك المـوتُ أمـرا محتمـا

خُـذيها وزولـي قبـل أن تتَنَـدمِي

فقد يـرحم الجـاني إذا مـا تنَـدما

(تطعنها بخنجر – تصرخ شفق صراخًا مكتوما)

خُذيها فلـن تـأوي لخـافق صـدره
حبيبا، ولـن يلقـاكِ زوجـا متيمـا

شفق (وهي تغالب جرحها) : منًـــى لا يـــراك الله إلا شقـــيةً

منى : لك الويلُ لـن أشْـقَى ولَـن أتألمـا
وددتُ لَـــو ان الله أظْفَرنَـــا بكُـــم

(تتحفز للهروب) فذُقْتُم كمـا ذُقْنَـا الهـوان مسـمما
سآوي إلى قـومي فـأذكِي جهـادهم
وموعدنَا عام إذا مـا تَجرمـا[1]...
ويا رب ملْك لـم يـنَم عنـه كَيـدنَا
فمـــالَ علـــى جبـــاره وتَهـــدما

(تخرج)

شفق : ألا يا لقَـومي.. الغيـاثَ.. الغيـاثَ

(تدخل الخادم)

الخادم : فمــا خَطْــب ســيدتي مــا ألَــم؟
أرى بـــــكِ جرحــــا

شفق : فـــــلا تَحفِلـــــي
بـه

الخادم : وأرى الـــدم منْـــه انْســـجم

شفق : أمـــولاكِ منـــا قريـــب؟

الخادم : أجـــلْ

---

(١) تجرما: تجرم الليل أي: ذهب.

ببهـــو التماثيـــل

شفق : أعِنِـــي الحكّـــم

فقـــولي لـــه يلْقَنـــي لَحظَـــةً

أتَمضِـــين مســـرعة!!

الخادم : أي نَعـــم

(تخرج الخادم مسرعة. شفق وهي تتلوى)

شفق : أشْـــــــهد أن الإلـــــــــه حـــــــق

وأنـــــــــه واحِـــــــــد وحـــــــق

والحـــــب حـــــق، والحـــــب حـــــق

(يدخل الحكم والها فيرى شفق ويسرع إليهـا فتأخـذه بـين أحضانها)

المشهد الخامس

شفق : حكّـــم ادن منـــي

الحكم : مـــا أصـــابكِ؟

شفق : ما ترى

الحكم (في ولـه ويهم بالخروج) : هـــلْ مـــن طَبيـــبٍ؟

شفق : عد فَأنتَ طَبيبي

حكّـــم اعـــفُ عنـــي، ضـــمني

الحكم : شَـــفَقُ اســـلَمي

شفق (في إعياء) : أرضـــيتَ؟!

الحكم : بل فارضي

شفق : سِلمتَ حبيبي

الحكم : شفقُ الحبيبـةُ مـن هـوى بنعيمنـا؟

شفق : أو لـم يطَهرنـي دمـي ودمـوعي

أتُجِلنـــــي؟

الحكم : أقصـى التجِلـةِ فاهـدئي

شفق : أتُحبنـــي؟

الحكم : أهواكِ ملء ضلوعي

شفق : الآن أقْضـــي لا عـــذاب يمِضـــني

إلا الـــذي ألْقَـــى مـــن التوديـــع

لك يا شقيقَ النفْس تَسبيحي من الـ ـ

ـوادي السحيق، ولوعتي، ونُزوعي

(تتكئ على صدره وتسلم الروح)

الحكم (في مـزيج من الوله والدهشة) : لا تَـذْهبي شـفَقُ الحبيبـةُ - إننـي

مفـضٍ إلـي اليـتْم يـوم نـواكِ

يـا أخْـتَ آمـال الصـبا ومراحِـه

قد كان أكـرم مـا ذخَـرتُ هـواكِ

يا هجعـةَ العـين الطويـل سـهادها

كم صدعتْ [1] عني الكرى عينـاكِ

يا قُبلةَ الطل الرقيـق سـرتْ علـى

خـد الشـقيقِ فـرف واسـتَحياكِ

بالضاحِك النشوان من عهـدِ الصـبا

في المشْرقِ المـأنُوسِ مـن مغْنَـاكِ

وبكل عذْبٍ اللحن من قُبـل الهـوى

نَضحت بهـا شـفِتي المِلحـةُ فَـاكِ

قَسـما فَلـم تَلْتَـذ غيـرك أضـلعي

يوما، ولم يصـرخْ دمـي لسـواكِ

فامضِي.. كأغُنيةِ الربيـع تَرقْرقَـتْ

ألوانُهـــا فـــي نَـــوره الضـــحاكِ

وامضــي كنَيـرةِ السـماءِ كريمـةَ

الروحــاتِ والغَــدواتِ والأفــلاكِ

إن تَذْهبي.. فأنـا المقيمـةُ لـوعتي

ومـودتي.. حتـى يحـين هلاكِـي

---

(١) صدعت: أبعدت.

الذاكر الوافي الـ ولي علـى المـ دى
والأيـ م الـ دنِفُ الحـ زين البـ اكِي

المشهد السادس

(يدخل الناصر)

الناصر : بنـ ـ ـ ـ ـ ـي

الحكم : أبِـ ـــي قـ ـــد أطـ ـــاح الـ ـــردى
بحبـ ـــةِ نفْسـ ـــي وخُلْصـ ـــانِها

الناصر : أأودتْ؟!

الحكم : مضتْ كعروس السـ ـماءِ
هـ ـ ـوتْ فـ ـ ـي مفـ ـ ـاتن ألْوانِهـ ـ ـا
أبـ ـــي قـ ـــد فقـ ـــدتُ نعـ ـــيم الحيـ ـــاةِ
ومعنَـ ـ ـ ـى الحيـ ـ ـ ـاة بفقْـ ـ ـ ـدانِها

(يربت الناصر على كتف الحكم في حزن)

الناصر : تماسـ ـــك... بـ ـــلادك ترنُـ ـــو إليـ ـــك
بآمالهـ ـ ـ ـ ـ ـا، وبوجـ ـ ـ ـ ـ ـ ـدانِها
لقـ ـــد شَـ ـــبتِ الحـ ـــرب فـ ـــانْفِر لهـ ـــا
غَـ ـ ـدا فـ ـ ـي طليعـ ـ ـةِ فُرسـ ـ ـانِها
فإن عـ ـدت فـ ـارو هـ ـواك الصـ ـريع
بصـ ـــب الـ ـــدموع وتَهتانِهـ ـ ـا

(يشتد نشيج الحكم)

(مستمرا) بنَي!

الحكم : وكيـ ـ ـفَ، وهـ ـ ـلْ أسـ ـ ـتَطيع
ونَفْسـ ـ ـ ـي تـ ـ ـ ـؤُج بأشـ ـ ـ ـجانِها

الناصر : بِـ ـ ـلادك ألْقَـ ـ ـتْ بأشـ ـ ـياخها

لهـ ـ ـذا الـ ـ ـوغَى، وبفتيانِهـ ـ ـا

أتَتْركُهـ ـا بـ ـين أيـ ـدي الخُطُـ ـوبِ،

وتَنْكُـ ـلُ عـ ـن بـ ـذْل قُربانِهـ ـا

الحكم : أبـ ـي..!

الناصر (مقاطعا في حدة) : إن تَقُلْهـ ـا فلسـ ـتَ الجـ ـدير

بِعطْـ ـفِ الـ ـبلاد وإحسـ ـانِها

الحكم : ووجدي!!

الناصر : صـ ـهٍ هـ ـل تُسـ ـاس الشـ ـعوب

بوجـ ـدِ المـ ـوك وأحزانِهـ ـا؟!

ويحسـ ـبنَا النـ ـاس أوفـ ـى الـ ـدنا

نعيمـ ـ ـا وأسـ ـ ـعد قُطانِهـ ـ ـا

وقَـ ـد جهلُـ ـوا أن أشْـ ـقَى الـ ـرؤُوس

رؤوس تَنْـ ـ ـوء بتيجانِهـ ـ ـا..

أتُصـ ـغي بنَـ ـي؟

الحكم : أبـ ـي أعفِنـ ـي

الناصر (في حدة) : عفَتْـ ـك الليـ ـالي بحِـ ـدثانِها

سأمضـ ـي أنـ ـا الشـ ـيخُ..

الحكم : لا بـ ـل أقِـ ـم

وإنـ ـي لخـ ـائض نيرانِهـ ـا

(يمشي متحاملا وهو يلتفت إلى شفق)

عليـ ـكِ شـ ـقيقةَ نفسـ ـي السـ ـلا

مـن خَفْـق روحـي وألحانِهـا

ثقـي بـي.. فَـإني غـدا ناصـر

بـلادي وداعـم بنْيانِهـا

فـإن بلغـتْ فـي العـلا شـأوها

هفَـتْ لـكِ روحـي بتَحنَانِهـا

الناصر : إلـى ذِروةِ المجـدِ سِـر بـالجيوشِ،

محوطًـا بمـأثُور إيمانِهـا

وجاهـد بهـا فـي سـبيل الـبلادِ

تُوطـد أواسـي أركانِهـا

حيـاةُ الملـوكِ ومجـد الملـوكِ

لأوطانِهـا وبأوطانِهـا

ستـــار

الفصل الرابع

المشهد الأول

(قلعة ملحقة بقصر غرناطة جدرانها قاتمة الألوان، نثـرت فها مقاعد صلبة، وأعد فيها للناصر عرش لا أثر للزينـة به، يدخل الناصر والحكم. يجلس الناصـر علـى عرشـه متوكئًا على ذراع الحكم، ويستأذن الحكم فيدخل ابن يعلـى وابن جهور وغالب وأمير زناتة وأمير ازداجة ورسول ملك إيطاليا ورسول قسطنطين ملك الروم).

الناصر : دعـ ـــوتُكن قبـ ـــلَ أن تَسـ ـــيروا
وقبـ ـــلَ أن يبحـ ـــر النفيـ ـــر [1]
فَهـ ـ ـلْ لـ ـ ـديكُم جديـ ـ ـد رأى
وهـ ـل نصـ ـيح، وهـ ـل ءء مشـ ـير؟!

الحكم : مـ ـ ـولاى دبـ ـ ـرتَ فامتَثلْنـ ـ ـا
فإنـ ـ ـك السـ ـ ـائِر الخبيـ ـ ـ ـر
ورأيـ ـك الثاقِـ ـب [2] المضـ ـوى [3]
وقَولُـ ـ ـ ـ ـك الأولُ الأخيـ ـ ـ ـ ـر

الناصر : بنَـ ـ ـى إن أزمـ ـ ـةٌ تَـ ـ ـراءتْ
وأطْبـ ـقَ المـ ـأزقُ العسـ ـير
وأظلـ ـم الأمـ ـر قَـ ـهءو لَيـ ـلٌ
يضـ ـل فـ ـي تيهـ ـهِ البصـ ـير

---

(١) النفير: يقال لقوم نافرين للحرب.

(٢) الثاقب: المضىء.

(٣) المضوى: مخففة الهمزة: المنير.

فاستَنْصِـ ــح العـ ــارفين تَسـ ــلَمْ

فـ ــلا يغُرنـ ــك الغَـ ــرور [1]

بثنَـ ـى فاسـ ـمع لهـ ـم وسـ ـعهم

فهكـ ـ ـذا تَصـ ـ ـلُح الأمـ ـ ـور

(ثم يقول في شيء من الإعياء)

بثنــى خُــض فــي الجليــل عنــى

يفْخَــر بــك الْعــرشُ والســرير

الحكم : مـ ـولاى تـ ـدرى فقـ ـد وضـ ـعنَا

فـ ـى حكمـ ـةٍ خطـ ـةَ الهجـ ـومِ

ومـ ــا تَركْنَـ ــا دقيـ ــقَ أمـ ــرٍ

غــلا عجمنــاه [2] فــي الصــميم

رسول قسطنطين (مستأذنا) : عــن عاهــل الــروم قَــد نَفَرنَــا

لنُصـ ـرةِ العاهـ ـل العظـ ـيم

مـ ـولاى أُسـ ـطولُنا شَـ ـريك

فــى هــذه الغَــزوة العــزومِ [3]

فهــلْ عــن الأمــرِ مــن بيــانٍ

فـ ـنحن فـ ـي غاسِـ ـقٍ بهـ ـيمِ

الحكم : أخَطـ ـ ـةُ الحـ ـ ـرب؟!

الرسول : إن أذنْـ ـ ـتُم

---

(١) الغرور: بفتح الغين الشيطان.

(٢) عجمناه: خبرناه.

(٣) عزم الفرس يعزم عض. والغزوة العزوم الت تأكل الرجال وتعض الأبطال.

الحكم : دعهـا لـذى الخِبـرةِ العلـيمِ

أصـ ـ ـاب أهدافَـ ـه كتُـ ـ ـوم

وخَـاب مـن لَـيس بـالكتُومِ

رسول روما : مـ ـ ـ ـ ـولاى

الناصر : قُلْ يـا سـفير رومـا

رسول روما : أقْـدِم علـى رأيـك الكـريمِ

البـ ـ ـر والبحـ ـ ـر صـ ـهوتاكُم

فسـ ـاوِروا صـ ـهوةَ النجـ ـومِ

قَـ ـرعتُم المجـ ـد بـ ـالعوالِى [1]

وسـ ـ ـدتُم الـ ـ ـدهر بـ ـ ـالعلومِ

فـ ـنحن والـ ـروم سـ ـاعداكُم

فامضـوا غلـى المطْلَـبِ الجسـيمِ

رسول قسطنطين : مـ ـولاى ملْكِـ ـى لَـ ـه رجـ ـاء

فَهـ ـ ـلْ لإقْـ ـ ـرارِهِ سـ ـ ـبيلُ

الناصر (مقاطعا) : أى رجـ ـا والحـ ـروب تضـ ـرى

غَـ ـدا، وغِراتُهـ ـا شُـ ـكُولُ [2]

غـ ـدا تَمـ ـوج البِحـ ـار سـ ـفْنًا

ويكْثُـ ـر الضـ ـبح [3] والصـ ـلِيلُ

أعباؤُنـ ـ ـا فـ ـ ـدح ثِقـ ـ ـالٌ

---

(١) شكول: متشابهة.

(٢) العوالى: الرماح.

(٣) الضبح: صوت للخيل تخرجه عند عدوها.

ويومنـ ــا مرهِـ ــق طَويـ ــلُ

رسول قسـطنطين (فى إلحاح) : مـ ــولاى يسـ ــألُ عـ ــن عِصِقِلْـ ــ ـ

ـ ــلية، متَـ ــى تُفْضِـ ــى إلَينَـ ــا

كانـ ــتْ لَنـ ــا قَبـ ــلَ المعِـ ــز

فضـ ــمها، وبغَـ ــى علينَـ ــا

تُفْضِـ ــى لَكُـ ــم؟!

لِـ ــم لا، وهـ ــا

ذَا حقنَـ ــا؟!

رسول إيطاليا (فى تحد) : وإذا أبينَـ ــا

رسول قسطنطين : تـ ــأبون! مـ ــن أنْـ ــتُم وقـ ــد

وعـ ــد الخليفـ ــةُ فاكْتَفَينَـ ــا

رسول إيطاليا (فى دهشة) : وعـ ــد الخليفـ ــةُ؟

الناصر (فى اعتداد) : مِثْـ ــلُ هـ ــ ـ

ـ ــذا القَـ ــول لا يلْقَـ ــى لَـ ــدينَا

عـ ــودا إلـ ــى مـ ــأثُور قَضـ ــ ـ

ـ ــلِكُما

رسول إيطاليا : أطَعنَـ ــا، وانْتَهينَـ ــا

الحكم : فَلْنَطْـ ــو هـ ــذا الحـ ــديثَ

رسول قسطنطين : مـ ــاذَا

تَقُـ ــولُ؟

الناصر (فى حدة) : الـ ــرأى مـ ــا يقـ ــولُ

إذا رجعنَـــا غـــدا بنصـــرٍ

وحقَّـــقَ المطْلَـــب الجليـــلُ

نظـــرْتُ فيمـــا ســـألتمانِي

واللهُ مِـــن فوقنـــا المســـولُ

(يستأذن الرسولان ويخرجان)

أمير زناتة (واقفًا) : مـولاي فـأذَن

الناصر : قُلْ أمير زناتـة

أمير زناتة : عـز – الغـداةَ – بعـزك الإسـلام

العرب في شـرق البحـار وغربهـا

أنـــتَ الرقيـــب علـــيهم القَـــوام

واللهِ مـــا وهنَـــتْ وطائـــد مجـــدِهم

وبنـــو أُميـــةَ فـــارعون قِيـــام

إن خُضتُم البحر الخِضـم وركـزتْ

بـــالقَيروان قنـــاك والأعـــلام

فـــالمغْرب الظـــامِى لحرياتِـــهِ

لـــك منْـــه عهـــد مـــودة وذِمـــام

وعليـــك مِـــن أزداجـــةٍ وزناتـــةٍ

سلْم، ومِـن بـاقِى البطـون سـلام

الحكم : إنـــا لنَقْـــدركُم، ونَقْـــدر فَضـــلَكُم

وولاءكُـــم، ونجِلكُـــم أقْيـــالا

ونـــود لـــو كانـــتْ معـــونَتُكم لنَـــا

يـــوم النـــزول بأرضِـــكُم أعمـــالاَ

زعيم أزدلاجة : مرنـا نُطـع

الحكم : إن دان شـاطئكم لنَـا

فَقِدوا (١) المـدائن ثـورةً وقتـالا

وثِبوا علـى سـفْن المعـز وجيشـهِ

مِـن خَلْفِـه نَجمـعوا علَيـهِ نَكَـالا

فـإذَا ورِثْنَـا ملْكَـه كُنْـتُم لَنـا

فـى المغـربِ الـوزراء والعمـالا

زعيم أزدلاجة : بـلْ إن أبكـار المنَـى أن تَحطِمـوا

عنا القيود وتَرضـخُوا (٢) الأغـلالا

الحكم (الناصر) : مولاى عبئَتِ الجيـوشُ فَمـر تَسِـر

وتَخُـص إلـى غاياتِهـا الأهـوالا

قَسـما فإمـا أن نَعـود أعـزةً

دِنـا الجبـابِر، أو نَمـوتَ رجـالا

(يقف الناصر فيقف الجميع)

الناصر : سـيروا خِفَاقًـا لِلجهـادِ وآمنُـوا

بِجهـادِكُم تَلشـدِ النضـالُ نِصـالا

وامضوا، فَنَصـر الله مكْفُـولٌ لِمـن

شَهدوا الصـيالَ فسـابقُوا الآجـالا

(ثم يمسك بيدي الحكم ويكاد يضمه، ويسلمه سيف)

أبنَى جيشُ أبيك ما خـاض الـوغَى

---

(١) وقد كأوقد أى ألهب.

(٢) وضخ: كسر.

قُـده علـى المـأثور مـن أخْلاقِـهِ إلا سـمـا هـدقًا، وعـف قِتـالا

ابنَـى إن بضـنِى أُميـةَ علقُـوا فَتَـرى البطُولـةَ فيـه والأبطـالا

مـا كـان يخْـزيهم ويحـزنُهم إذا آمـالهم بـك، فـابلُغ الآمـالا

لكـن يـدِب العـار فـي تـاريخهم قـالوا هـوى الطـود الأشـم وزالا

إن قِيـلَ فَـر، وشَـمر الأذْيـالا

(تدخل الزهراء، مسرعة الخطى، وقد أرتسم على وجهها اهتمـام بالغ، يغض الحاضرون من أبصارهم)

المشهد الثانى

الزهراء : مـــــــولاى

الناصر : من؟ من ذا أتى بـكِ

الزهراء : جئْتُ للأ

مر الجليـل..

الناصر : وأى أمـــرٍ ذَاكَـــا

الزهراء : قَد أجمعوا تحتَ الـدجى أن يهـدموا

ملْكًـا تَفَـرع فـي الْعـلاَ بِعلاكَـا

هى فتنـةٌ عمـم بقَصـرك سـعرتْ

وتكـاد تَعصِــفُ نارهــا بِســناكا

يتربصـون بـك الـدوائر فـاحترس

الناصر : مـن هـؤلاءِ؟

الزهراء : فــاعفى رحماكَــا

الناصر (فى حدة) : أأجبـــــتِ؟!

الزهراء (بعد برهة تردد) : أخْلِ القاعتَين فإنهـا الـ ـ

ـجلى، ولَـن أُدلِـى بهـا لسـواها

(يشير الناصر إلى القوم فيخرجون فإذا أراد الحكـم ؟؟؟؟؟ أيضـا عاجله الناصر بقوله):

الناصر : أبنى هـذا الملْـك ملْكُـك فـابقَ لا

تَخْــرج فَيهـدِينى السـبيلَ حِجاكَـا

(ثم يلتفت إلى الزهراء)

هاتِى الحديثَ

الزهراء : لَئِن نَطَقْتُ خَشِيتُ أن

يقْضِى عليك الوجد...

الناصر : ويحكِ فانْطِقى

الزهراء : مولاى

الناصر : قولى ما عرفْتِ وأسرعى

قد كدتِ أن تُؤدى بِحِلْمى فاتقى

الزهراء : أدنَى ثِقاتِك بين أهلِك!!

الناصر : إنه الـ

ـعبء الذي أعيا إذَن عن حملِهِ

ماذَا؟ أقصرى وكُر ما أُمنْى بهِ

مِن آثِم الغَدرِ الخَسيسِ ونَذْلِهِ؟

أتَدك ملْكِى آفةٌ مِن صلْبِهِ

حين استَكان خُصومه مِن حولِهِ؟!

من ذاك الجانى؟

الزهراء (فى ضراعة) : تَريثْ

(ثم يلتفت إلى الحكم في إشفاق كأنها تسأله الصبر على سماع ما ستقول للناصر، فيخطئ النار فهم هذه النظرة ويثور ثورة جارفة)

الناصر : إنه

ولدِى إذَن قَتَله أخٌ مِن قَبلِهِ

الحكم (مستنكرا) : أبتَا

الناصر : تَعِستَ فليس غيرك عالم

ـيمشـارفِ السـر الخَطيـر وسـبِلهِ

إن لم أُذِقْكَ الموتَ ذُقْتُ أنـا الـردى

خَجلا.. أنـا المِلـك الشـقى بأهلِـهِ

وطَنى سلمتَ... فإن سلِمتَ فإنها الـ

ـنعمى يعوضـها أب عـن ثُكْلِـهِ

ثم يتجه إلى الحكم في وحشية)

انْـطِق

(تدخل شفق من الخارج صائحة بأعلى صوتها)

شفق : أمـــين الله لا تفتـــك بـــهِ

الناصر : شَـــفَقُ ابنَتـــى!؟

شفق : يا لـلأبِ المِسـكين

المشهد الثالث

(يؤخذ الحكم ويتماسك الناصر)

الناصر : أبنَيتِـى مـاذا أصـابكِ؟

شفق : لَســتَ لِــى

بـأبٍ ولا ديـن الحنيفـةِ دينـى

أنا بنتُ عار الدهر صك [1] بى الـدنَا

ملْعونَــة الأصــلابِ والمــاعون

رقْطـاء تَلـدغُ مـن كسـاها نِعمـةً

فى لؤمِ مضـطَغنٍ وغَـدرِ خَـؤُون

الناصر : ماذا أتَـى بـك؟

شفق : جئـتُ أنْقُـض مـأثَمِى

عنـى الغَـداةَ!!

الحكم : فأوضِحِى وأبِينِى

شفق (فى هياج) : لا تُرسِـلُوا أسـطُولَكُم وجيوشَـكُم

عِلِـم العـدو بسـرها المكْنـون

الناصر : أعـداؤُنا علمـوا بخُطتنـا؟

شفق : أجـل

الحكم : شـفقُ استَمعتِ لكَـاذِبٍ مـأفُون

شفق (فى بكاء) : تالله مـا كـذَب الـذي قـد خـانكُم

---

(١) صك: ضرب.

بلْ كـان ينْقُـلُ أصـدقَ الأخبـار

الناصر : من ذلـك الجـانى؟

شفق : أنا ؟!

الحكم : أجنِنْـ ـ ـ تِ؟

شفق : بـ ـ ـلْ

تلـ ـك الحقيقـ ـةُ غيـ ـر ذاتِ إزار

الناصر : شـ ـفقُ اصـ ـدقِينى

شفق : قَـ ـ د صـ ـ دقْتُك!!

الحكم : ما الذى

تُلْقِيـ ن؟

شفق (فى ثورة) : ذَاك تكرمِـ ـى أو عـ ـارى

ثأرى وثَـأر أبِـى وأوطَـانِى التـى

محِقَتْ ومن غَيـرى ينَـاطُ بِثـارِى

خنتُ الحبيـب وظَللْـتُ أغْـز قلْبـه

فـى شَـنْأةٍ [1] وخساسـةٍ وصـغار

لَم يطْوِ عنى سِـره. فـي عاصـفٍ

مِـ ـن حبـ ـه كالقاصـ ـفِ الهـ ـدار

وعزمتُ. فاستَعر الهوى في أضـلُعى

فَرميـ ـتُ قـ ـومى طُعمـ ـةً للنـ ـار

وقَـرتُ سـعيِى لِلنهـوضِ بـأمتِى

---

(١) الشنأة: البغض والعداوة.

وجعلتُ هـذا الفَخْـر مـن أوزاري

الناصر (في حدة) : شَفَقُ اجتَرأتِ على الخيانةِ فاصـمتي

أفتفخـ ـرين بإثمِـ ـكِ الكُبـ ـار!

شفق : إثم.. أجلْ.. لكِـن نَهضـتُ بِكِبْـرِهِ

لمـا نَهلْـتُ السـحر مِـن ناعَـار

(في ضراعة وبكاء) أبتَا أتغفر لِي؟!

الناصر : شَقِيتِ ألَـم تُـذِقْ

ولدي الحِمام أسـنتي وشِـفاري [1]

وطنِـى افتـديتُك بالحيـاةِ رخيصـةً

والأهــل والأبنـاءِ والأنْصـار

هـذا تـراثُ الخالـدين حفِظْتُـه

بـدمي.. وديـن الواحِـدِ القَهـار

شفق : أبـتَا

الناصر : فلسـتُ أبـا لمِثْلِـك ضـيعتْ

حرمي، وألْقَتْ في الثـرى إيثـاري

(تسقط جاثية على ركبتيها عند قدمى الناصر فيستطرد هذا للحكم في زراية)

أفرغْ لهـا... إنـى سـأفْرغُ للـذى

يفْجـا مِـن الأحـداثِ والأخْطـار

(يخرج الناصر ويحاول الحكم الخروج من باب آخر)

شفق : حكَـم

(١) شفارى: جمع شفرة وهى حد السيف.

الناصر : اخْســـئِى

شفق : حكَـم انْتَظِــر

الحكم : لا تَنْطِقـى

بِاســمٍ. شَــنَارك حقــه بِشَــنار

شفق : حكَم..

الحكم : اغْفُرى في الترب رأسك واقْبعـى

كالبوم بـين النـؤى [١] والأحجـار

وردِى الهـوان أثيمــةً فــي هــوةٍ

مِــن ذِلــةٍ لَيســتْ بِــذاتِ قَــرار

شفق (فى إعياء) : حكَـم اســتَمِع لِـى

الحكم (فى تهكم) : لا جديــد أزيــده

من حر أخْبـارى ومـن أسـرارى

(تقف شفق)

شفق : هبِنى جنَيتُ، وقـد جنَيـتُ فـأرعِنى

أُذْنَيــك أســكُب فيهمــا أعــذارى

يــا رب إثْــمٍ جلــلَ الــدنْيا ســنًى

وهدى كمصـباحِ السـماءِ الـوارى

الحكم : مــاذا؟ أتَعتَــزين بِــالجرمِ الّــذى

قَارفْتِ، لؤم الكُفْـر فـي الإصـرار

يا شَر ما في الخِزى مِن خِـزى ويـا

عــار النســاءِ ووصــمةَ الأبكــار

---

(١) النؤى: الحفير حول الخباء ليمنع السيل.

يـا نَـزوةَ الحقْـدِ الـدخيل سـعاره
يا لفحـةَ المقْـت الوقّـاحِ العـارى
يا.. كُل حسنٍ فـي الوجـودِ منَضـرٍ
قد صب فـي أجـلادِ ذِئْـبٍ ضـار
لَـو لَـم يجـر علـى قتْلـكِ سـبةً
لفَعلْتُ... ثم شَـفَيتُ فيـكِ سـعارى

شفق : افْعلْ تُرِحنِـى مِـن جـوى متفَـاقِم
قـد شَـفنى فـي أُمتِـى وديـارى
أفْعلْ يـرق عـن الضـمير عذابـه
ويخـف فـادح عبئِـه الجبـار
افعـلْ فـإن المـوتَ أحنَـى موئـلٍ
لعـدو موطِنـهِ، وأكْـرم جـار

الحكم : أذكرتِ قومك؟.. أين قومـك! إنهـم
عصـب مـن الأذْنَـابِ والأغْمـار
وذكَرتِ نافار العظيمـةَ؟

شفق (فى حدة) : لا تَـزد
وحذار من وغَـر الصـدور حـذار
لا يخدعنك مـا تَـرى عـن عِـزةٍ
ضربتْ على الـدولاتِ والأمصـار
المجد يـومض كالشـعاع ويخْتَفـى
والملْك يـذْهب كالخيـال السـارى
لو لم يحُنى – وهو بين جـوانحى -

قلْبــى. لَـــ ذُقْتُم صـــدمةَ الأقْـــدار

الحكم : أى الهـــوى تتحـــدثين بـــه

شفق (وتمسك بطرف ثوبه فيبعدها) : ألا

تحنُو على؟! أمـا رعيـتَ ذِمـارِى

الحكم (فى ازدراء) : عنى... وهلْ يرعـى ذِمـار سـبيةٍ

لـم تَطْـوِ غيـر الحقْـدِ للأحـرار

لَو لـم يضـمكِ حِجرنـا وخُـدورنا

لَجرعـــتِ ذُل أســـى، وذُل إســـار

ولَعِشْتِ في سـوق الرقيـق مهينـةً

تُلْقَـين مـــن شـــارٍ لآخـــر شَـــار

شفق : قلْ كيف شئتَ.. فلَن أضيقَ بكُل مـا

تُبديـــه مـــن مقْـــتٍ ومِـــن إنْكَـــار

لكنـــه عتْـــب الضـــمير، وإنـــه

لأشَـد مـن وخْـز القَنَـا الخَطـار

يا قلـب أنْسـانى غَرامـك واجبـى

وأزلنـــى عـــن نُهيتـــى ووقَـــارى

يا قلْب كـان العـار فيمـا سـمتَنى

فَرضِيتُ واستَمرأتُ مرعـى العـار

يا ليلُ هل تَرِثُ النهار علـى المـدى

إنِّـى لأخْـزى وجـه كُـل نَهـار

(ثم تلتفت في ضراعة إلى الحكم)

حكَم اذْكُـر الحـب الـذي بـادلْتَنى

الحكم : هـذا لعمـرك آلـم التـذكار

شفق : واذكـر عهـودك..

الحكم : ما ذكرتُ سِـوى الـذى

جرعتِنـى مـن غفلـةٍ وصغـار

شفق : إن متَ عن حبـى فَـراغ أُخـوتى

الحكم : بليتْ بلاء الرث فـي الأطمـار [1]

هجنـتِ فـي عينـى كُـل فضـيلةٍ

ولطخـتِ غُرتهـا بـذوبِ القـار

وأبحتِ نفسـكِ للهـوان، ولا هـوى

إلا علـى الإجـلال والإكبـار

شفق (تقترب إليه وتمسك بأهداب ثوبه)

أفقـدتُ كـل وسِـيلةٍ؟

الحكم (يدفعها صارخا) لا تـ ـ ـ ـ ـ أملى

إن الجـراح بعيـدةُ الإغـوار

(يخرج الحكم)

---

(١) الأطمار: جمع طمر، الثوب الخلق أو الكساء البالى.

المشهد الرابع

(تدخل من ثائرة متحفزة وتقابلها شفق متحفزة متحدية وتنهض من ضعفها في حركة حازمة)

شفق : تَعالَى سفير الخَتْل والبغْـى والخَنَـا،
تَعالَى نَذير المـوتِ أغْبـر مربـدا
تَعالَى فقـد جرعتِنـى أقْتَـلَ الأسـى
وجللتِنِى عـارا، وحملْتِنِـى جهـدا

منى : ذكرتِ الخَنَا والعار يا عـار أهلِهـا،
وعار بلادٍ لـم تَلِـد قَبلَهـا وغْـدا
كسوتِ أباكِ الخِزى في طُهـر قبـرِهِ
ولـدتِ لـه ملْكًـا فأذلَلتِـه عبـدا

شفق (فى حقد) : نَفَذْتِ لركْنٍ فـي ضـميرى رفعتُـه
على الخُلُق الأسـنَى فقوضـتِه هـدا
وأغْريتِ بى نفسـى وألْقَيـتِ بينَهـا
وبينى عداء لن يهـون ولـن يهـدا

منى : قَضيتِ على آمـال قَومِـك فامحـتْ
وكانتْ إليهم قاب قَوسـين أو أدنـى
بعثْتِ لهم في جلْـوةِ العـرسِ مأتَمـا
فَكنتِ الذي أصمى، وكنتِ الذي أفْنى
بـلادك قـد أشْـقَيتِها بـل أضـعتها
وكانت علـى أيـديكِ تَرتَقِـب اليمنَـا

بـ ـ ـــلادك..

شفق (فى ثورة) : كفى ذلك اللغو ليس لـى

بـلاد ولا أهـلٌ!!

منى (فى حدة) : لعنـتِ إذن لعنَـا

شفق : بلادى. لتركس فـي الجحـيم فـإننى

أكن لها مقْتًا وأطْـوى لهـا ضِـغْنَا

هوتْـبى لأحضـان الشـقاءِ فشـفنى

وكان الهوى والعيشةُ الرغْـد لـى حِضـنَا

منى : دعتْكِ إلـى الجلـى فخيبـتِ ظنهـا

شفق : دعِينى وحقدى لا تَزيدى لـه جِقـدا

دعتْنـى وقالـتْ إنـه بعـثُ أمـةٍ

فلم أدخـْر وسـعا لـدى ولا جهـدا

فلـم تـك إلا سـرحةَ الخُلْـدِ ذُقتُهـا

فذوقنى رضوانُها البغْض والطـردا

(فى حقد شديد) بلادى وقـومى أرسـلَ الله حاصـبا

فيهدمها هدما، ويحصـدهم حصـدا

منى (فى ثورة) : لَك الويلُ مـن هـونٍ يمـج خزايـةً

وداعِـر إثْـمٍ يمـلأ الأرض مأثَمـا

تَرديتِ في مهـوى الخِيانـةِ والخنـا

فكان عليك المـوتُ أمـرا محتمـا

خُـذيها وزولـى قبـل أن تَتَنَـدمِى

فقد يـرحم الجـانى إذا مـا تَنَـدما

(تطعنها بخنجر – تصرخ شق صراخًا مكتوما)

خُذيها فلـن تـأوى لخـافق صـدره

حبيبا، ولـن يلقـاكِ زوجـا متيمـا

شفق (وهى تغالب جرحها) : منًـــى لا يـــراك الله إلا شَـــقيةً

منى : لك الويلُ لـن أشْـقَى ولَـن أتألمـا

وددتُ لَـــو أن الله أظْفَرنَـــا بكُـــم

(تتحفز للهروب) فذُقْتُم كمـا ذُقْنَـا الهـوان مسـمما

سآوى إلى قـومى فـأذكِى جهـادهم

وموعدنَا عام إذا ما تَجرمـا [١] ...

ويا رب ملْك لـم يـنَم عـن كيـدنَا

فمـــالَ علـــى جبـــاره وتَهـــدما

(تخرج)

شفق : ألا يا لقَـومى.. الغيـاثَ.. الغيـاثَ

(تدخل الخادم)

الخادم : فمـــا خَطْـــب ســـيدتى مـــا ألَـــم

أرى بـــــكِ جرحـــــا

شفق : فـــــلا تَحفِلـــــى

بـــه

الخادم : وأرى الـــدم منْـــه انْســـجم

شفق : أمـــولاكِ منـــا قريـــب؟

الخادم : أجـــلْ

---

(١) تجرما: تجرم الليل أى ذهب.

ببهـ ـــ و التماثيـ ــ ل

شفق : أعنِـ ـــ ى الحكّـ ـ م

فقـ ـــ ولى لـ ـــ ه يلْنـ ـــ ى لَحظَـ ـــ ةً

أتَمضِـ ـــ ين مسـ ـــ رعة!!

الخادم : أى نَعـ ـ م

(تخرج الخادم مسرعة. شفق وهى تتلوى)

شفق : أشْـ ـ ـ ـ ـــ هد أن الإلـ ـ ـ ـ ـــ ه حـ ـ ـ ـ ـ ـــ ق

وأنـ ـ ـ ـ ـ ـــ ه واحِـ ـ ـ ـ ـ ـــ د وحـ ـ ـ ـ ـ ـــ ق

والحـ ـ ـــ ب حـ ـ ـــ ق، والحـ ـ ـــ ب حـ ـ ـــ ق

(يدخل الحكم والها فيرى شفق ويسرع إليهـا فتأخـذه بـين أحضانها)

المشهد الخامس

شفق : حكَـ ـم ادن منـ ـى

الحكم : مـ ـا أصـ ـابكِ؟

شفق : ما ترى

الحكم (فـى ولـه ويهم بالخروج) : هـــل مـــن طَبيـــبِ

شفق : عد فأنتَ طَبيبى

حكَـــم اعـــفُ عنـــى، ضــمنى

الحكم : شَـــفَقُ اسـ ـلَمى

شفق (فى إعياء) : أرضـ ـ ـيتَ؟!

الحكم : بل فارضى

شفق : سلِمتَ حبيبى

الحكم : شفقُ الحبيبـةُ مـن هـوى بنعيمنـا؟

شفق : أو لـم يطَهرنـى دمـى ودمـوعى

أتُجِلنـ ـ ـ ـى؟

الحكم : أقصـى التجِلـةِ فاهـدئى

شفق : أتُحبنـ ـ ـى؟

الحكم : أهواكِ ملء ضلوعى

شفق : الآن أقْضـى لا عـذاب يمِضـنى

إلا الـذي ألْقَـى مـن التوديـع

لك يا شقيقَ النفْس تَسبيحى من الـ

ـوادى السحيق، ولوعتى، ونُزوعى

(تتكئ على صدره وتسلم الروح)

الحكم (فـى مـزيج من الوله والدهشة) : لا تَـذْهبى شـفَقُ الحبيبـةُ - إننـى
مضـضٍ إلـى اليـتْم يـوم نـواكِ
يـا أخْـتَ آمـال الصـبا ومراحِـه
قد كان أكـرم مـا ذخَـرتُ هـواكِ
يا هجعـةَ العـين الطويـل سـهادها
كم صدعتْ [1] عنى الكرى عينـاكِ
يا قُبلةَ الطل الرقيـق سـرتْ علـى
خـد الشـقيقِ فـرف واسـتَحياكِ
بالضاحِك النشوان من عهـدِ الصـبا
فى المشْرقِ المـأنُوسِ مـن مغْنَـاكِ
وبكل عذْبٍ اللحن من قُبـل الهـوى
نَضحتء بها شـفِتى الملِحـةُ فَـاكِ
قَسـما فَلـم تَلْتَـذ غيـرك أضـلعى
يوما، ولم يصـرخْ دمـى لسـواكِ
فامضِى.. كأغْنيةِ الربيـع تَرقْرقَـتْ
ألوانُهــا فــي نَــوره الضــحاكِ
وامضــى كنَيـرةِ السـماءِ كريمـةَ
الروحــاتِ والغَــدواتِ والأفــلاكِ
إن تَذْهبى.. فأنـا المقيمـه لـوعتى
ومـودتى.. حتـى يحـين هلاكِـى

---

(١) صدعت: أبعدت.

الذاكر الوافى الـولى علـى المـدى
والأيـم الـدنِفُ الحـزين البـاكِى

المشهد السادس

(يدخل الناصر)

الناصر : بنـ ـ ـ ـ ـ ـى

الحكم : أبِـ ــى قـ ــد أطـ ــاح الـ ــردى
بحبــةِ نفْســى وخُلْصــانِها

الناصر : أأودتْ؟!

الحكم : مضتْ كعـروِ السـماءِ
هــ ـوتْ فــ ـي مفـ ـاتن ألْوانِهــ ـا
أبــى قــد فقــدتُ نعــيم الحيــاةِ
ومعنَــ ـــى الحيـ ــاة بفقْـ ــدانِها

(يربت الناصر على كتف الحكم في حزن)

الناصر : تماســك... بــلادك ترنُــو إليــك
بآمالهـ ـ ـ ـ ـ ـا، وبوجـ ـ ـ ـ ـ ـدانِها
لقــد شَــبتِ الحــرب فــانْفِر لهــا
غَــ ـدا فــ ـي طليعــ ـةِ فُرســ ـانِها
فإن عـدت فـارو هـواك الصـريع
بصـ ـــب الـ ـــدموع وتَهتانِهـ ـــا

(يشتد نشيج الحكم)

(مستمرا) بنَى!

الحكم : وكيـ ـف، وهـ ـلْ أسـ ـتَطيع
ونَفْســ ـــى تَــ ـــؤُج بأشـ ـــجانِها

الناصر : بـ ـ ـلادك ألْقَـ ـ ـتْ بأشـ ـ ـياخها

لهـ ـ ـذا الـ ـ ـوغَى، وبفتيانِهـ ـ ـا

أتَتْرُكُهــا بــين أيــدى الخُطُــوبِ،

وتَنْكُـ ـ ـلُ عـ ـ ـن بـ ـ ـذْل قُربانِهـ ـا

الحكم : أبـ ـى..!

الناصر (مقاطعا في حدة) : إن تَقُلْهــا فلســتَ الجــدير

بِعطْـ ـــفِ الـ ـــبلاد وإحسـ ـــانِها

الحكم : ووجدى!!

الناصر : صـــهٍ هـــل تُســاس الشـــعوب

بوجـ ـ ـدِ المـ ـ ـوك وأحزانِهـ ـا؟!

ويحسـ ـ ـبنَا النـ ـ ـاس أوفـ ـ ـى الـ ـ ـدنا

نعيمـ ـ ـا وأسـ ـ ـعد قُطانِهـ ـ ـا

وقَـ ـد جهلُـ ـوا أن أشْـ ـقَى الـ ـرؤُوس

رؤوس تَنْـ ـ ـ ـوء بتيجانِهـ ـ ـ ـا..

أتُصــغى بنَــى؟

الحكم : أبـــى أعفِنـــى

الناصر (فى حدة) : عفَتْـ ـ ـك الليـ ـ ـالى بحِـ ـ ـدثانِها

سأمضـ ـى أنـ ـا الشـ ـيخُ..

لا بـ ـ ـل أقِـ ـ ـم

الحكم : وإنـ ـ ـى لخـ ـ ـائض نيرانِهـ ـ ـا

(يمشى متحاملا وهو يلتفت إلى شفق)

عليـ ـكِ شـ ـقيقةَ نفسـ ـ ـى السـ ـ ـلا

م مــن خَفْــقِ روحــى وألحانِهــا

ثقــى بــى.. فَــإنى غــدا ناصــر

بـ ـ ـلادى وداعـ ـ ـم بنْيانِهـ ـ ـا

فــإن بلغــتْ فــي العــلا شـأوها

هفَــتْ لــكِ روحــى بتَحنَانِهــا

الناصر : إلـى ذِروةِ المجـدِ سِـر بـالجيوشِ،

محوطًـ ــا بمـ ــأثُورِ إيمانِهـ ــا

وجاهــد بهــا فــي ســبيل الــبلادِ

تُوطـ ـ ـد أواسـ ـ ـى أركانِهـ ـ ـا

حيــاةُ الملــوكِ ومجــد الملــوكِ

لأوطَانِهـ ـ ـ ــا وبأوطَانِهـ ـ ـ ــا

ستـ ـار